



الفصل الثالث

تغريب الأمة الإسلامية  
وأضرار التقليد



## الفصل الثالث

### تغريب الأئمة الإسلامية وأضرار التقليد

تمهيد :

انتشر الإسلام في نصف خريطة العالم الإسلامي بالسلوكيات فهل يغتال اليوم بها، باستدراج أمتنا لتغيير نمط سلوكها وفق النموذج الغربى، وهنا يكون التقليد جريمة نكراء فى حق أمتنا سيما وأنه لا ينصب على محاسن الغرب، وحينئذ نكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، فهل نتحول إلى ذيل يجر فى حين إننا أمة نعتها القرآن الكريم بالخيرية على العالمين ما التزمت أخلاق سيد المرسلين.

إن التشبه بالأجانب وتقليدهم فى غير محمود سلوكهم يصيبنا فى مقتل، حتى أن البعض يقول أننا على أعتاب قرن يسمى قرن تغريب الأمة، وهو أخطر مظاهر الهزيمة لكونها إلغاء للشخصية حين ننخرط فى طوابير الإمعات، وهيئات هيهات.

لقد خلف التقليد أمراضاً وأعراضاً كان شرها مستطيراً على الواقع الإسلامى، فهى تؤنن بخراب الهوية الإسلامية، وتخلق أجيالاً مأزومة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فيتحول العرب إلى جزيرة للغرب، ولتحيا الأمة الإسلامية بعد ذلك فى بحر من (الاستسهال) الدينى أو القطيعة مع الدين الناجم عن مسلسل التغريب، وما يفضى إليه كل أولئك.

وموكب التقليد يتبخر اليوم في كل دولة إسلامية، وله جمهور واتباع وسماسة، وأخشى ما نخشاه أن يستفحل التقليد فيصبح كالسوس الذي ينخر في العظام، أو يصل السكين إلى العظم كما حدث في تركيا أو في قطع متجاورات من بلاد الشمال الأفريقي . وفيما يلي تفصيل المجلد، فنستعرض بعض الأخطار والأضرار التي تنجم عن التقليد:

**الفرع الأول : تحريف الواقع الإسلامي وفق النموذج الغربي .**

**الفرع الثاني : النيل من الخصوصية الحضارية.**

**الفرع الثالث : الخطر على الذاتية الإسلامية.**

**الفرع الرابع : جزاء التقليد المرئول .**

## الغرم الأول

### تحريف الواقع الإسلامى وفق النموذج الغربى

(الهزيمة السلوكية)

إن مظاهر التقليد والتشبه بالأجانب إذا تفتت في بلد أو مجتمع عربى فإنها تلحق بنا ضرراً بالغاً، إذ تقدم صورة مائعة عن المجتمع الإسلامى بسبب انسلاخه عن أعرافه ودخوله فى أعراف ملل أخرى وماكم بعض مظاهر الهزيمة:

أولاً : المناخ الأوروبى فى البيت العربى (١) :

أهلاً يا أونكل، وأهلاً يا نتنت ..

فحين تطأ قدماك البيت تستقبلك سيدة البيت أولاً بابتسامة لطيفة تحييك بما لم يحيك به الله، وقد تطبع قبلة على الوجه، وقد تؤثرك بكلمات عن الود من ثقافتها الأجنبية، تحدثك وتؤنسك، والحائظ خلفها مشغول بلوحات بها مناظر أوروبية أو خليعة أحياناً أو لوحات تاريخية منقطعة الصلة بنا، ولا أثر لأثر إسلامى بالصالون الذى يستقبل الضيوف وهو نمط مستورد، والأولاد ينادون أمهاتهم وأبائهم وأقربائهم بمصطلحات أوروبية إنجليزية وأحياناً فرنسية، وإذا دعيت لتناول الطعام فلتجلس على المائدة وتستخدم الأشواك والملاعق والسكاكين بقدر معلوم وإلا أدرجت فى قوائم المخلفين.

والأتيكيت عندهم فن وحضارة فى استقبال الضيوف وآداب الزيارة وتقديم الزهور حتى فى طريقة تقديم الشاى للضيف، وكيفية

(١) اللواء الإسلامى فى ١٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ / ١٠/٩/١٩٩٢م.

القيام والقعود واستقبال النساء والرجال والصبيان، فكل صغير وكبير في التقليد عندهم محمود، ولا ضير من ذلك طالما التزمنا بأعرافنا الطيبة التي توأكب ديننا، أما أن تتحول سلوكياتنا في بلدنا إلى محاكاة وخروج على قواعد الشرع فذلك إيذاء لواقع المسلمين، ولا تزال تطلع على كثير من التقاليد الغربية عندهم، فعندهم تخليط الرجال بالنساء يموج بعضهم في بعض سيما في الحفلات، مع ما يصحب ذلك من تبرج وزينة من أناس يدعون إلى الإسلام، والتحدث بكلمات أجنبية، وتقديم السيدات على الرجال في أمور غير مستحبة.

لا يعرف أحدهم شيئاً عن التاريخ الهجرى فهو نوع من الرجعية وتلك بداية التبعية، وهكذا ينشغل أبناؤنا وأهلونا بتقدم مزعوم لا يسمن ولا يغنى ولا يجدى في مهام اللحاق بركب الحضارة.

وهذه الفتاة أسماها سالى وتلك نانسى أو إنجى ورولا، والجميع مدعون هذه الليلة إلى حفلة تكريمية تظل نكراها على مدى العام، والفتيات تهدي صديقها في يوم عيده نمية صغيرة أو كبيرة قد تكون دباً أو غيره، وهناك الاستعداد لاحتفال بالكريسماس سواء كانت الترتيبات للحفل داخل البيت أو خارجه وهلم جرا، والفتاة قد تستقبل صديقها فى حجرتها والفتى كذلك يستقبل صديقه على الأقل فى بيته، وهذا هو العسل المصفى من السلوك الغربى المبههر.

وتلك "لارا" ستذهب هذا المساء مع ابن تلت وجماعة من أصحابه ليشاهدوا فيلماً حصد كل جوائز الأوسكار ويتحدث عن الخيانة الزوجية أو (الخيابة) الزوجية، أما شقيقها فسيذهب إلى مطار العاصمة ليستقبل صديقة له قادمة من إنجلترا كان يرسلها عبر الإنترنت، وسيقوم الاثنين بتمضية وقت ممتع فى أرجاء المعمورة فى بلاد الاقتصاد الفقير.

أما نانسي فقد ذهبت للكوافير. لتستبدل تسريحة الأسد بتسريحة  
الولد، أما دادى فهو فى شغل شاغل اليوم للبحث عن إكسسوارات  
مناسبة لكلبه الأنيق لعله يفوز فى الغد فى مسابقة أجمل الكلاب،  
وسيزهد به هذا المساء إلى الطبيب المعالج نظراً لظهور ملامح إكتئاب  
نفسى عليه !!.

أما بودى فعنده مكتبة فيها كتب قيمة ليس فيها شئ من تفسير  
القرآن الكريم أو فقه السنة وإنما قطوف مما لذ وطاب عن الغرب وأهله  
سيما الكاسيات.

أما تانت لوسى فستدعوهم قريباً عندها فى سهرة عائلية للاحتفال  
بعيد الربيع فى حفل ذيكولتية، وسيفعل الديسكو بهم ما يفعل فى تلك  
الليلة المرتقة شباباً ونساءً ورجالاً، وهنياً لشبابنا المبروك بما عوده  
أبوه.

وهذه الكلبة "لايكا" تغزو وتروح وكأنها صاحبة السيادة والسلطان  
فى المنزل وهى فى نعيم مقيم، وهى تلازمهم فى السيارة إذا تجولوا بها  
ولو أغاظت الفقراء والمساكين.

وهؤلاء وهؤلاء مدعون من أسرة صديقة حميمة للذهاب إلى  
إحدى الشواطئ للاستحمام والاستحمام فى عطلة الوبك إنى وأخذ  
حمامات شمس جماعية بملايس البحر، وإقامة حفل راقص على البلاج.  
وربما يعقب ذلك حفل زفاف للكلاب كما أفادت آخر الأخبار  
الواردة من اليابان<sup>(١)</sup>.

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٤/٧/٢م.

أما الجد أو الجدة الذين أسسوا البيت فلا تستبعد أن يكون أحدهما أو كلاهما قد زجوا به في دار المسنين، وبالجملة يشيع في البيت العربي مناخ أوروبي يظن الواهمون أنه أقصر طريق للتقدم، مع أنه كتقليد الطاووس علاوة على فقدان الهوية، وبإلتي البيت العربي يقلد الأوروبي في محاسنه كأن تكون المكتبة جزءاً من أثاث المنزل وفيها كتب قيمة أو نقلد في محراب الاقتصاد كعدم التكلف في المظهر أو استهلاك الطعام بموازين صحية.

### وكذلك في الفنادق :

هي قطعة من أوربا تماماً، ويخيل إليك أنك في بلد غربي، والفنادق عندنا تملأ العواصم، وإذا رأيت ثم رأيت فهي تعج بمظاهر التغريب تعلوها وتكسوها حتى في الاستقبال الذي يخاطبك في الاتصال التليفوني ابتداء بلغة أجنبية، أما اللسان العربي فشأنه الامتهان والدونية!!.

صالات أعدت للمراقص وموسيقى وحفلات صاخبة تماماً على النمط الغربي وكان النمط العربي أحق بها وأهلها، والعاملات في الفنادق غاديات رائحات كاسيات عاريات متبرجات بزينة، لا يمت مظهرهن إلى ديانتهم، والطامة الكبرى في دورات المياه فقد صممت تماماً على النحو الغربي الذي لا يعرف الطهارة من النجاسة<sup>(١)</sup> فإذا أردت أن تتطهر فليكن بالورق وإلى هذا الحد يصل النفاق الاجتماعي فتبلى محاسننا.

(١) د. محمد المسير، للفنادق السياحية، اللواء الإسلامي العدد ٤٤.

## ثانيا : تبدل القيم أو أمركتها واحتلال منظومة القيم :

أعاصير ثقافية ضارية بلا أصول عقائدية من أصلاب الوثنية والإغريقية ننتلقها، شرائح المهزومين والمأزومين عندنا يولد عندنا تناقضا بين أحكام الدين وواقع المسلمين، حتى نصبح غرباء فى أوطاننا، يشيع صورة أقرب إلى أن الانحلال الغربى الذى يوهن العزائم ويبلد القلوب فتأتى الضربة فلا تجد فى الجسم مناعة تقاوم، فإذا بنا ذات يوم وقد خسرنا الدين والدنيا معا وخسرنا أمتنا<sup>(١)</sup>.

تتعطل منظومة الأخلاق التى عرفناها من خلال ما أوتى النبيون من ربهم، ورسولنا الكريم ﷺ فصل لنا مكارم الأخلاق التى ترفرف على مجتمعات المسلمين، وقد ورد عن السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ أن مكارم الأخلاق عشرة قد تكون فى الزجل ولا تكون فى أبيه، وقد تكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن أحب ورأسهن الحياء<sup>(٢)</sup>.

أما الحياء الذى يتصف به كبريم الطبع فهو شعور النفس بانقباض فطرى من السيئة والمعصية . ومن كان على هذه الصفة نجده لا يناى عن القبائح فحسب، بل لا يصر على رؤيتها فى غيره . كما تتولد عنده الحاسة الخلقية والغيرة الإيمانية، وذلك هو أقصر طريق للحفاظ على صحة الأمم النفسية والخلقية والاجتماعية .

أما فى شريعة الأجانب فلا غضاضة أن يأتى الإنسان فعلا يجرح الحياء ويخزيه، ومن ثم فلا عجب أن ترى رجلا يقبل زوجته

(١) مصطفى محمود، مقال بالأهرام ١٩٩٢/٥/٢

(٢) وهى : صدق الحديث، مداراة الناس، وصلة للرحم، حفظ الأمانة، للتنم للجار، إعطاء السائل، المكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، الوفاء بالعهد، ورأسهن للحياء.

أمام الآخرين ولفترة طويلة وهذه حسناء تتعلق بفتى فى مركبات النقل العام أو الطرقات والمنديات، وفتى يداعب فتاة فى أماكن حساسة من جسمها على أعين الناس، والقبلات المتبادلة بين الرجال والنساء عرف معروف، وتبادل للزوجات والأزواج فى المراقص مألوف، وصور فاضحة فى الإعلام بكل جراءة، والتماثيل فى الميادين تجسد العورات للجنسين، أمور كلها لا يرى الغربيون فيها من حرج .

والفيلم الأمريكى يقدم لك حسناء فى أوضاع مخلة أو مخجلة مع صديق لها على أريكة وأمام غلامها المراهق أو كريمةها من آخر تضععت قيمة الأخلاق فى نفوس الكثير من المسلمين "مثلما تضععت عند كثير من الغربيين فقد فصلوا مجالات حياتهم هناك عن الأخلاق، فصلوا السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والأسرية بما فى ذلك الجنس نفسه" فلم يعد لثى من ذلك كله علاقة بالأخلاق (١) .

إن انهيار منظومة القيم المتوارثة تحت ركام القيم الوافدة هو أمر تسود له الوجوه لأنها من مجتمعات تختلف عنا بالكلية، لأنها تخلت عن المودة إلى المادة ودخلت فى رحاب الإباحة باسم السماحة، ولأن منظومتنا الخلقية فريدة فى قيمتها وتفصيلاتها، فأهم مصدر للسعادة والهناء هو انسجام واقع المرء مع معتقداته، حيث يشعر بارتياح وبهجة كلما تخطى عقبة من العقبات التى تحول بينه وبين قيمه العليا، فالسعادة لا تكون إلا فى جو يسوده الأخلاق، وتعلو فيه إشراقات الروح (٢) :

ودعاة الاقتباس المبهورين بكل ما أنتجه غريبهم يودون لأعرافنا أن تتوارى إلى الظل عشية الاستسهال الدينى المحمول إلينا برا وجوا

(١) مجلة المنار، من الوطن الكويتية ١١/١٠/١٩٩٨ العدد ٨١٣٨ الأهرام فى ٢٩/١٢/٢٠٠٢ ٢٥٨٤ لسنة ٣٧

(٢) عبد الله الشبانة، (مرجع سابق).

والذى لا يمت فى سلبياته إلى الطبع المهذب، وإنما للجذور الصليبية الغربية الممزوجة بالوثنية واللايدنية.

وتلكم مباراة بين بعض القنوات الفضائية والعربية يشهدها سكان المعمورة قاصيهم ودانيهم لإمتاع المشاهدين ببرامج الإفلاس الفكرى، بعرض المفاتن التى تناقض مع ما أوتى النبيون من ربهم، حتى أن بعض المجالات أسمته (سباق النسلج) وليس النسلج، فليس هو سباق محمود فى الثقافة الترفيحية وإنما هو سباق فى عرض الحسنات والفتيات الجميلات بلباس يجعلهن أشبه بالعراة ناهيك عن عروض الرقص وأجمل المراهقات، ودعواهم هو الانفتاح الفكرى والحرية والتقليد للغرب المتقدم<sup>(١)</sup>.

كم تجر علينا التقاليد الوافدة استعمارا اجتماعيا عجز عنه الاستعمار العسكرى، فنتخبط الأمة المسلمة مع تبدل القيم التى تبدأ من تعلم الطفل لما يقال بالثقافة الجنسية، فإذا ما حدث استلطاف بين الجنسين فى الرحلات كان هذا معاكسة بريئة وليس عشقا أو غراما إن لم يجر إلى الزواج القسرى لإسدال الستار على الفحشاء<sup>(٢)</sup>.

وهذه سلوكيات لا مرحبا من تلك الحفلات التى تنقلها إلينا الكاميرا فى المنازل وسط مقاعد المتفرجين وهو الرقص الخليع والهزيل والذى تنعكس إثارته السلبية على جماهير الشعب<sup>(٣)</sup>.

وهذه رسالة بعثت بها الدكتورة/ أمنة نصير الأستاذة بجامعة الأزهر إلى جريدة الأهرام قالت فيها: دار حيث بينى وبين إحدى بناتى

(١) محمد عبد الرؤوف زياك، مفكر سورى .

(٢) سالم البهنسارى، الأبناء الكويتية ٩٨/٥/٢٨

(٣) الأهرام المصرية فى ١١/٨/١٩٩٩ ص ٣١

ونحن نشاهد إحدى أغنيات الفيديو كليب، وهى سيدة ناضجة ومزوجة وتعيش فى إحدى الدول الأوروبية، إلا أنها تعجبت مما يدور فى مشاهد الأغنية العربية ومما يقال من كلمات ليس لها أى رابطة مما يحدث ويدور من رقص وإيقاع كأنهم مجموعة أفاعى تتلوى دون معنى أو فن يرتفع بالذوق أو مشاهدة تمتع العين، وتذهب الكل والملل عن النفس التى يطالب الإنسان بالترويح عنها، ولكن أى ترويح فيما نشاهده ونراه من أمثال هذه الأغنيات التى تخلو من أى تقدم مما عرفناه ونعرفه فى ثقافتنا الفنية وجمالها من كلمات راقية ترتفع بالذوق والأحسان جميلة تنتعش بها النفس، وعبق جميل يملأ الفؤاد ويزيد البهجة فى حياة الأسرة، ثم حنث ولا حرج عن مظهر الفرق التى تصور أغنيات هذا الفيديو كليب فى بلاد بعيدة، أو قريبة تتحدث عن مصادرها بكل فخر وتقدير واعتزاز !! وكأننا جلبنا للمشاهدين ما يستحق للحمد والشكر والتقدير العظيم.

ملابس هؤلاء المصاحبين لأغنية الفيديو كليب، ونعم أقول ملابس من المجاز بل أنها فى الحقيقة قطع قماش متناثرة على جسد الفتيات، تكشف أكثر مما تستر، مع هذا الأداء الأفعوانى وهذه الموسيقى المضاحبة الخالية من أى إمتاع لأذن.

صدقنى عزيزى القارئ لست من أهل التطرف ولا التزميت ولا الحرمان من التمتع بالحياة، ولكنى أخاف على قيمنا الجميلة التى تحمى بناتنا وشبابنا من هذا الإسفاف والانحدار فى الذوق، وأقول يا سادة يجب أن ندرك أن لكل شعب ثقافته وتقاليد وعقيدته، وخصوصيته، وأن هذا التقليد الأعمى يفسد الذوق العام والخاص لأولادنا وبناتنا، وأنه مسخ

لهويتنا بغية أن يفسدنا في مظهرنا وثقافتنا وتقاليدنا وميراثنا الفنى والحضارى ودعونا من فلسفة تقليد (الغراب للطاوس) ولنبقى ونحرص على ريشنا الجميل قبل أن يقع ولا نستطيع أن نزرع بدلاً منه، فالشرق شرق والغرب غرب .

### ثالثاً : التناقض بين مبادئ الدين وواقع المرأة المسلمة :

كم يتحسر المسلم الغيور على ما آل المرأة العصرية عندنا، فقد غابت عليها شقوقها على يد نخبة من أساتذة التحريض والتلقين ومن ورائهم سماسرة التغريب، يدعمون الإباحية والتحلل وترويج الأزياء الغربية وأساليب التعرى، الأدب المكشوف وكيفية إخراج المسلمة من بيتها على غير سنة نبيها، وهو ما أصاب امرأتنا بأوضاع نفسية مقلقة ويهدد فتاتنا الملتزمة ويغويها بالسفور وكشف المستور .

فتلكم الكاسيات العاريات، تلبس الثوب الضيق الذى يبدى تقاطيع جسمها، أسفلة ضيق لا تكاد المرأة تمشى فيه، ومما يزيد فتنة وضع فتحات جانبية تظهر ساقها وجزء من فخذها<sup>(١)</sup>.

كثير من الأخوات المسلمات يرضعن أولادهن بحضور الرجال الأجانب وتكشف ثديها وترضع طفلها بدون حياء، وربما كان زوجها جالساً.

وهاك أمراً تنصدر الشاشة الفضائية تتحدث عن الإسلام مع أنها تنتكر لزيه، وإذا سألها سائل على التليفون الساخن، لماذا أنتى

(١) نظر للباس والزينة، تأليف سمير عبد العزيز ص ٣٦.

حاسرة الرأس أجابت بإجابات ماكرة بعيدة عما وجه إليها، وهناك كتب تحمل عنواناً إسلامياً وهي تضرب الإسلام في مقتل، مؤلفوها أشبه بالمنافقين في صدر الإسلام، ومع ذلك فهي تتطلى على البسطاء في الثقافة، ومن أراد أن يشاهد المذيعات الفاتنات وهن يظهرن بملابس أشبه ما تكون بقمصان النوم فعلية بقنوات فضائية عربية متألفة، ألقت وتخلت عن مظاهر الاحتشام من أن ملاكها يدعون إلى الإسلام، وما هو أدهى وأمر تطرح موضوعات للنقاش كلها تروج للإباحية كالعادة السرية والعجز الجنسي ليلة الزفاف بدعوى الوعي في أمور فطرية يتساوى فيها الإنسان والحيوان، والنتيجة هي الويل للأجيال .

وفي المناسبات الاجتماعية وفي الفنادق الفخمة تلبس النساء أفخر الثياب، ولكنها القصيرة والمكشوفة والفاضحة رغم اختلاف الأعمار والأجساد وهو ما يؤذن بمرض التوحّد مع الغرب .

ومن دواعي الأسى والشجن أن تجد نساء محجبات وبناتهن بجوارهن بالملابس الضيقة أو الكاشفة وفي سن حرجة، وكم تلقى عروس اليوم المسلمة من العنت والحرّج حيث تتحول للبحث عن فستان للزفاف ساتر للعورات فلا تجده إلا عارى الأكمّام، مع أنه مما عملت أيدينا !!

ولا غضاضة اليوم أن تجد الصور العارية في كليات جامعية باسم الفنون، يتدرب عليها الطلاب من أجل مستقبل أكثر تألقاً<sup>(١)</sup>. ومفهوم الحب بين الفتى والفتاة على الطريقة الغربية كارثة أخلاقية تضرب قيمنا عن يمين وشمال، وإذا طوفت بالمنتجعات

(١) مجلة النور .د.محمد رأفت عثمان العدد ٦٥٤

السياحية فى الشتاء والصيف فى كثير من الدول الإسلامية يخيّل إليك أن المسلمين قد تركوا بلادهم للأجانب، وبالرغم أن عمار هذه الأماكن كلهم أبناء العرب، ويا حسرة على العباد الذين تخلّوا عن قوميتهم ويساومون على هويتهم بثمن بخس .

وهاكم امرأة مسلمة فى بيتها، تروح وتغدو بملابس النوم، وتجد أخريات يبيدين زينتهن بلا حدود أو قيود سيما أمام المراهقين الذين صاروا يطلعون على عورات النساء .

وإذا طرقت مجتمعات المترفين فى منتدياتهم تجد التغريب قد أحاط بهم سلوكيات تنحو نحو تحقيق الميول الجسدية التى قد يقوده بعد إلى منافذ غير شرعية، كل أولئك نتاج المسلسلات التى تتكبد على موضوعات الخيانة الزوجية والمطاردات الجنسية والمراهقات الصبيانية والانتهازات المادية وكله انعكاس ثقافات سطحية سانجة<sup>(١)</sup> هل تحريف أم تجريف للقيم الإسلامية، وحدث عن الأسلوب السافر فى التهكم على رجال الدين بل والملائكة إسرار وجهارا ولا حرج !!.

وها هى البنوك المنبثة فى بلادنا العربية الإسلامية تكيد للفتيات المرتديات للزى الإسلامى فلا تقبلهن للعمل لديها وهو أمر تسود له الوجوه، وهاكم اقرعوا ما طالعتنا به الصحف والمجلات عن مأساة أول طيارة تعمل بكفاءة فى شركة طيران عربية، أرادت الزى الإسلامى ففصلوها، بعد أن بلغت عدد ساعات الطيران ١٩٠٠ ساعة إلى مختلف دول العالم، أعرضت عن عروض انهالت عليها للتمثيل والأغراء والإغواء، وهنا أفتى مفتى مصر المسلمة بأنه ليس من حق صاحب

(١) د. يسرى عبد المحسن الأهرام السم فى العمل ١٢/١٢/٢٠٠١م.

العمل فصل المرأة بسبب ارتداء الحجاب الذي يعد فريضة على كل مسلمة لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق<sup>(١)</sup>.

إن المحاسن عندنا بحور بلا شيطان، واقع زاهر وفاخر وأهل الغرب لا يزالون يحسدوننا عليها بعد أن توارت عندهم وصارت بضاعة مزجاة. إن أعرافنا كلها عذب فرأت، وما يخالفها ملح أجاج فهل من غيور فخور بدينه يعيد إلى أعرافنا وجهها الوضاء.

### الاختلاط الضار :

الاختلاط العائلي له إيجابياته وكذلك سلبياته، فمنه الممدوح ومنه المنموم، وكمبدأ ولا غضاضة أن تتزاور الأسرة المسلمة فذلك مدعاة للتربط والقوة والألفة ولكن بشرط التزام العرف الإسلامي، أما أن تجلس النساء مع الرجال تكشف كل امرأة عن ساقها للناظرين أو جزء من صدرها أو ظهرها أو ذراعيها، وتم يسود جو من الهرج والمرج حتى ساعات متأخرة من الليل، وأحاديث ودية وضحكات وقفشات ومزاح مكشوف منتهاه أن يهدد الهناء العائلي لكلا الأسرتين، وليس هذا مما يجرى في صالون البيت المسلم حيث المصحف في كل الأركان، ورغم أن الرجل الشرقي غيور على دينه وزوجته على خلاف الغربي الذي تضعف عنده الغيرة الجنسية كإحدى خصائص وخسائس لحم الخنزير الذي يلتهمه كلما تتوق شهيته .

لقد أثبتت الدراسات أن حالات الاغتصاب داخل دائرة المعارف الأسرية أكثر شيوعا من الحالات التي تتعرض فيها المرأة للاغتصاب

(١) مجلة لها العدد ٨٠ في ١٤٢٣/١/٢٠ هـ .

لأن الذئب يستخدم مركز القوة فى فرض سيطرة على المرأة، ولذلك يحذر علماء الطب النفسى فى المجتمعات التى يكثُر فيها الاختلاط من الرجل الذى تشعر المرأة بأنة يعتدى على خصوصياتها أو يحاول التقرب منها.

### الرحلات الجامعية وما يكتنفها :

الحياة فى رحاب الجامعة هى لتعلم العلم، أم لتعلم الرقص؟ المراهقون والمراهقات أصبحوا أولياء بعض يخرجون للنتزه فى رحلات جماعية جامعية بل أحيانا فى معسكرات شتوية أو صيفية بدعوى بناء الشخصية والتدريب على الاستقلالية، حيث يمرح البنين مع البنات فى رحلات خلوية لا ندرى ماذا يفعل ببعضهم البعض مهما كان الرقيب مترقبا، إن الإسعاد الحقيقى للفتى والفتاة هو الذى يكون فى حدود المتاح والمباح من شرع الله، وليست السعادة التى قد تجلب ضرارا بالفتاة أو الفتى وتسبب جروحا لا تلتئم على مر الزمان، ولن ينفعهم يومئذ دعاوى الداعين لتقافة الانحلال، وهاكم شهادة من الذين جربوا الاختلاط .

والزواج العرفى السارى : هو النجم الطارق- يطرق الأبواب ليؤذن له، وقد ذاع وشاع سيما بين طلاب وطالبات الجامعات لإضفاء الشرعية الكاذبة على حب المراهقين والمراهقات إنصياحاً للنموذج العربى- وسرعان ما تبدأ - رحلة الانتقام من الزوج السارق للفتاة بدون مأذون وشهود وولى أمر ومن غير شبكة ولا مهر . وأصبحت هناك ورقة مطبوعة يشهد عليها اثنان غير مؤهلين . ويجد الأهل فجأة ويغته ابنتهم البكر الرشيد زوجة وتبدأ رحلة البحث عن المتاعب وعن

مخرج من هذه الفضيحة الطارئة التي جلبتها لنا السلوكيات الأجنبية  
الوفية !! (١) .

### السكرتيرة الحسنة لدى المدير المتأنق :

الجمال والدلع والمواهب الخاصة جداً أهم شروط الفوز بالوظيفة  
ولذلك فهي مهنة سيئة السمعة، وهي جزء من ثقافة فاسدة، وأزمة  
مجتمع تنتشر فيه الأفكار والاتجاهات اللادينية (٢) .

في مكتب الرئيس تلبس أفخر الثياب وأحلى العطور، تتزين  
بزينة الكراكب تقلد الأجنبيةات، فتختلى بالرئيس مع تبال المودة والإخاء  
المزعوم، ناسية كل عرف إسلامي، تخضع بالقول أحياناً، وتارة تجذب،  
وحين يعود المدير إلى منزله فكم هي عبارات الود والحنان الدافقة التي  
رانت على مسامعه، نعم هناك رؤساء ملتزمون ولكن آخرون دون ذلك  
- إن السكرتيرة أنثى بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يتعلق بها قلب  
الرجل وتستهيبها النفس، إذا هي أخلت بكرامتها وخضعت بالقول  
وأثارت الغرائز (٣)، فجلى سبيل المثال: في كندا أدانت محكمة حقوق  
الإنسان في كيبيك مدير إحدى المدارس بمنتريال وحكمت عليه بدفع  
تعويض كبير لفتاتين مارس مدير المدرسة عليهما تأثيراً كبيراً، وكانت  
إحداهما سكرتيرة خاصة له، دأب على مغاللتها بكلمات تفوح منها  
رائحة العدوان الجنسي وتفصح عن تربص الإيقاع بها، مما سبب  
للضحية قدراً من الإهانة والقلق والشعور بالعدوان (٤) .

(١) النبأ الكويتية في ٢٠٠٣/٦/١ .

(٢) د. أحمد النكلاوي، مجلة الخميس ٢٠٠٤/٤/٨م .

(٣) محمود عمارة، اللواء الإسلامي في ربيع الثاني ١٤١٣هـ الموافق ١٠/١٠/١٩٩٥م .

(٤) الأهرام في ١٩٩٢/٤/١٢م

إن مناخ العمل فى الإسلام له روح وريحان، ومكان العمل هو جنة نعيم، وحقل إنتاج، والشباب المسلم ألوف مؤلفة تتلمل من البطالة ولكنه التقليد.

رابعاً : تهيمش الدين فى ديار المسلمين :

هل يصبح الدين مجرد حصة أو حصتين تملى على التلاميذ فى ختام اليوم الدراسى وهم يتشاءبون وعلامات الإجهاد بادية عليهم من عناء اليوم المشحون ؟ ناهيك عن أنها دراسة تتم دون معايشة بين التلميذ والأستاذ، ولقد صار الدين فى إعلامنا مجرد فقرة أو برنامج أو عمود يكتب من قبيل تشكيل الوجه وتنويع المواد وسد الذرائع (١).

هل يتضاءل دور الإسلام على غرار الأديان الأرضية التى أفلست فى اجتذاب الشباب مواجهة المادية المتأججة التى أشربوا فى قلوبهم، وتصب فى عروقهم وتصيبهم بفقدان التوازن النفسى، بل وصل الأمر إلى ظهور ديانات جديدة تشايعهم فى اتباع أهوائهم، أما دعاة التغريب فقد حصرت صدورهم أن يلقى الدين الإسلامى على مسامع الدارسين، مع أن سلسلة الإسلام لو انقطعت فى أى بلد عربى عام أو بعض عام، لما وصل حاكم مسئول أو قائد أو قاضى فى أى دولة إسلامية إلى منضبة أو منصبه.

فكم من قيادى أو حاكم تربع على العرش مدين للمسيرة الإسلامية المتدفقة، تلك المسيرة التى حافظت على السلطة حتى وصلت إليه، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ٢٩/١٠/١٩٨٩

ولكن دعاة التتوير والتبوير والإبداع لا يكفون عن الدعوة إلى  
تجفيف الروافد أو إبعاد الدين عن مواطن كثيرة في التربية والثقافية،  
بدعوى مسابرة علوم الحقائق المجردة، مع أن التربية الإسلامية هي  
التي تحض على التطور العلمى، وكل رواد الفيزياء والكيمياء  
والرياضيات وغيرهم من نوابغ العلماء المسلمين الذين علموا العالم،  
وعنهم حملت الحضارة الغربية، وواصلت عطائها<sup>(١)</sup>.

إن الدين فى بلاد المسلمين هو أثمن ما يملكون، كالجواد الأصيل  
الذى لا يزال إلى اليوم عدة المتسابقين شريف الأصل والآباء .

إن سادتنا وكبراءنا لو شبوا يسمعون كلام الله فى بيوتهم وتتعموا  
بثقافة دينهم لما صدر قانون فى أى بلد إسلامى يبيح الخنا أو يقنن الزنا،  
ولما انكش دور المسلمين أو شاع بينهم الاستهتار الدينى . إن ديننا  
يقدم للبشرية حياة طيبة خالية من اليأس النفسى أو التردى الخلقى،  
يهدى إلى الرشد ومن ثم كان تاريخه حافلاً بالقيم والشيم التى تبتد كل  
أمراض النفس.

إن لكل أمة أعراقها، وفى أفلام اليابانيون تجد التحفظ بادياً، فلا  
ترى فيها القبلات التى منتهاها غرف النوم، فهل نضع اليابان فى قفص  
الاتهام بتهمة الرجعية والخضوع لاستبداد الإسلاميين؟!.

### التشوق بالمجتمع المدني الواحد (٢)

عقلية قاصرة تسعى لهدم الأسرة - من ورائها دعاة التقليد  
الأعمى لكل ما هو غربى، يعملون جهد إيمانهم لإفساد الحياة الزوجية

(١) الأهرام فى ١٩٩١/٨/٢م

(٢) اللواء الإسلامى ٢٠٠٣/٦/٢٦م

وشبوع الطلاق بدعوى الإصلاح، منح نصف ثروة الزوج للزوجة المطلقة. وهى فكرة تنقل من المجتمع الأمريكى أو الغربى دون فهم أصول العلاقة الزوجية فى ظل الإسلام، كنقل للمرأة كامل حقوقها بما لم تصل إليه الشرائع الغربية، فالمرأة عند الطلاق تحصل على الصداق كاملاً إلى جانب حق النفقة وأجر الحضانة وأجر المسكن إن كانت حاضنة، والزواج المدنى يؤدى إلى ظلم الزوج وإثراء الزوجة بلا سبب، لأن الرجل هو الذى يسعى إلى الكسب والمعاناة فى كبد . كما أن من موبقاتها طلب الطلاق وهجر الأسرة سيما عند ضعاف النفوس، مع أن المرأة فى الإسلام حظيت بحقوق لم تحظ بها امرأة الغرب، فلها ذمة مالية مستقلة وهى حرة فى التصرف فى مالها كيفما شاءت، بخلاف التشريعات الغربية التى يكون فيها المال مشتركاً بينها وبين الرجل ولا يحق لها التصرف فى مالها إلا بموافقة الزوج.

#### خامساً : القوانين الغربية تصدم الأحاسيس الإسلامية :

فلقد انخرطت فى التشريعات العربية الإسلامية ثلثة من القوانين الغربية التى تمس الأخلاق والقيم، تصدم الأحاسيس والشعور، فمن يضبط زوجته مع عشيقها فى وضع مشين فيمعن فى قتلها، فجزاءه أن يكون من المسجونين ملازماً للعتاة والمجرمين.

والناموس الغربى "تزوج بواحدة وصاحب من شئت منهن" فالزوجة الثانية محرمة ومجرمة، وهذا ما حل ببعض بلادنا المسلمة كتركيا، نعم تعدد الخيلات والصديقات أما تعدد الزوجات فلا مرحباً به!! والزوج التركى إذا اتهم بتعدد الزوجات يدرأ عنه العذاب إذا قرر

أن الزوجة الثانية عشيقة له!!، وحينئذ فلا تثريب عليه، ولكن يظل العنت يلاحقه بالنسبة للأولاد من تلك الزوجة، وأحياناً يلحقوهم بالزوجة الأولى التى لا يعترف القانون إلا بها وليذوقوا وبال أمرهم!!.

لقد عميت عليهم حكمة الحكيم العليم فى تشريع تعدد الزوجات، أقلها التنفيس الوجدانى المشروع عن الرغبات الجامحة فى إطار من الفضيلة والقيم، فنتعالى المجتمعات عن الموبقات التى هى آذان بخراب الحضارات.

ودول إسلامية ساوت بين الجنسين فى موضوع الطلاق، فصرفت النظر عن يكون بيده عقدة النكاح، وبعضها فعل كذلك فى الميراث، مع أن تقدير العزيز الحكيم فى توزيع الأنصبة مسطور فى كتب تملأ المكتبات.

كم كان الاقتباس التشريعى فى مواطن كثيرة موجعاً وأليماً، وطال عليه العهد حتى صار ضيفاً ثقيلاً ولا مرحباً به عند أصحاب الفطرة السليمة والذوق الرفيع.

نعم سيظل غريباً على مجتمعات المسلمين، تلك القوانين التى تجعل الزناة فى الغرفات آمنين، والمفروض أن يشهد عذابها طائفة من المؤمنين، ألوف مؤلفة من الضحايا الأبرياء سيما المراهقات دفعوا الثمن باهظاً بسبب تفاهة العقاب المنقول إلينا من بلاد الحرية والإباحية. فالتشريعات المقتبسة عن الغرب تفرض عقوبات تافهة على الموبقات، كانتهاك المحارم واغتصاب الإناث، أو تسقط بالكلية حدود الله فى مجالات كالسرقة وشرب الخمر، ومن ثم تشجع عقوبة السرقة على

السرقه وتعلم فنونها على يد أكابر مجرميها القابعين وراء القضبان، ناهيك عن انتشار الأمراض بين أصحاب السجن، كما يصبح المجرم عبئاً اقتصادياً على المجتمع، وكم يود كثير من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة أن تقطع أيديهم، ليخرج إلى سعة الحياة بدلاً من ضيق غياهب السجن.

### نمط الجريمة الغربية يحل قريباً من دارنا :

الجريمة الغربية ما سمعنا بها في آبائنا الأولين ولكنها طرقت أبوابنا، فهلك أبناء مرده يضربون آباءهم وأمهاتهم أو يسفهن آراءهم، وهناك من يقتلون ذوى القربى طمعاً في الثروة، وجرائم شائكة تهيم في أوطاننا، مسلسلات الشر المحمولة إلينا نقص علينا أوجه العنف الثاقب، ومن ثم تكاثر عندنا حملة المطواة والسكين، يجترأون على القوانين. جرائم التردى الخلقى والانغماس المبكر في نوادي المنكر، اغتصاب النساء من قبل الشباب وبيد التحقيق ولا ينتهى فلا يعود الشرف إذا ذهب، وتبريرات جريمة الزنا، والإيماء للفتيات المراهقات بالزواج بعيداً عن عقدة السلطة الأبوية، وهذا حادث ينشر في الصحف عن فلاحه تخون زوجها بإتيان الفاحشة مع حبيب لها، وكانت الفلاحه فى الماضى هى مجمع القيم، ومحط الأنظار فى التحلى بالأخلاق والتخلى عن المنكر يتصدر كل أولئك إباء العلى، فكانت تفضل الموت على ألا تنتهم فى شرفها وعرضها، وهذا ناظر مدرسة معقود عليه الأمل فى إحياء جيل جديد، يضبط متاجراً فى المخدرات والمحرمات، أو موظفاً فى أوكار المملذات، وتزداد الإحصائيات يوماً بعد يوم، وهذا دأب المجتمع الغربى، الذى نولى وجوهنا شطره، ولا ندرى ما يخبئه

الغد للآمنين من ويلات المجرمين مع أن شريعتنا فيها الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول  
إن اللصوص عندنا اليوم تسرق لتحتسى الخمر أو تتغول في المنكر، لا من أجل لقمة العيش ولكن من أجل أن يسمن الكلاب.  
لقد قلدنا أوروبا في كل شيء، وما دامت نسبة الإجرام هناك صاعدة، فلنكن عندنا بدورها كذلك.

نعم الشرطة بالمرصاد تتعقب اللصوص دون هوادة، ولكن إن تمكنت منهم فهم يحاكمون وفقاً للنموذج الغربي فينزلون ضيوفاً على الدولة من مال المواطنين، وربما أخلى سبيلهم قبل الأوان في أحد أعياد النصر - ويومئذ يفرج المبطلون.

### ودعاة فصل الدين يتطاولون في البنیان :

هم اليوم أكثر نفيراً، وتلك هي الطامة الكبرى، فلم يحدث في الإسلام فجوة بين الدين من ناحية والعلم من ناحية أخرى كما حدث في أوروبا، بل ديننا هو العلم يحض عليه ويكفيها في هذا آية، أول كلمة بدأ بها القرآن الكريم وهي قوله تعالى "اقرأ".

فأقسى ما يؤلم المسلم في بلاده أن تتحى الدولة الإسلامية دينها عن أوضاع مجتمعتها واستبداله بحلول من صنع عقول بشرية : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ٢٤]، فلم يقل أحد أن الدين ورجال الدين قد أساءوا، فهم جند مجندون لإعلاء كلمة الله، يعملون في إطار ذلك الدين القيم بلا كهنوت أو غرض، ومع ذلك يتسرب إلينا ذلك العفن الوارد من الغرب مبدعة العلمانية أو اللادينية،

وكان لنشأتها في أوروبا مبررها، أما عندنا أولى الميادين التي داهمها الترغيب وأستحوذ عليها كما أسلفنا مجالات الفكر والثقافة والتعليم، فأضحى ذلك الميدان أسيراً للثقافة الغربية بل وعلى يد نخبة من أبنائنا الذين أشربوا في قلوبهم حب الغرب، وأصبح كل مهمم هو النقل والاقْتباس متناسين اختلافات البيئات وتميز الإسلام بشريعة خاصة ذات ينابيع عذبة، فالتبعية الثقافية للغرب ميثوثة في كثير من المناهج الدراسية التي تدرس في العالم الإسلامي، ويتكون من مجموعها مركب فكري وعقائدي يخالف روح الإسلام<sup>(١)</sup> أثر على السلوك، بل أثرى السلوك المخالف،، دون أن تكون الدراسة متبوعة بالنظرة الإسلامية الرشيدة التي تميز بين الطيب والخبيث<sup>(٢)</sup>.

ودعاة الفقه التقدمي : وهؤلاء لم يقرأ أحد منهم كتاباً في الفقه والحديث، فكيف يجتهد لنا من يحكم في شرعنا من لا يفهمه، يا للعجب إذا اتخذ الناس رؤساً جهالاً، ولماذا تقليد الغرب في قضايا يشكو هو منه أو يتجرع غصصها.

سادساً : لغة البيان تنتقض من أطرافها وتشكو جحود أهلها:

(حروب الهوية)

"سوبر ماركت" ومعناها (محل بقالة)، "كتشن ماشين" ومعناها (ماكينة مطبخ)، "روستورات" ومعناها (مطعم)، "الفلترة" ومعناها (التصفية) "التشبيك" ومعناها (التفتيش والمراجعة)، "التفتيش" ومعناها

(١) وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، ترجمة د. محمد حب الله، ص ١٢١  
(٢) د. أكرم العمرى، مهام أساسية أمام الجامعات الإسلامية، مجلة الأمة ١٤٠٣ هـ.

(إنهاء الخدمة)، "الفنشنج" ومعناها (التشطيب)، "تست" ومعناها (اختبار)، ولا تنسى أن هذا "أونكل" وهذه "تانت"، نصر سنتر، مول وهلم جرا<sup>(١)</sup>.

وفي أعياد الميلاد التي تقام للصغار لا بل حتى للكبار المتصايين يقال لهم "هابى بيرث تو يو" ومعناها عيد سعيد، وهاكم بعض المذيعين يستخدمون مصطلحات أجنبية ناهيك عن الأخطاء النحوية التي تتألم لها لغتنا الجميلة، وأصحاب الوجاهة وغير الوجاهة يطبعون كروتهم بالإنجليزية وحدها وكأنهم يودعون العربية التي نشأوا عليها وترعرعوا في ظلها.

لغتنا الجميلة بين اللغات هي حسناء الحسانوات وأغنى الأغنياء، فهل تتحول في دارها إلى حسناء عند أعمى. أو إلى ضرة للغات الأجنبية، إنها اللغة التي يكتب بها أو يتكلم بها ٢٠٠ مليون عربي ويهفو إليها ألوف الملايين من المسلمين الذين يتقنون جزءاً منها لأداء نسكهم، وهي ليست حاضراً فحسب، بل هي تراث ضخم فخم في العلوم والفنون، وكانت لغة عالمية في الماضي بالمعنى الدقيق.

في فرنسا هل تعثر على فرنسى يتكلم الإنجليزية مهما أجادها، وكذلك دأب الإنجليز مع الفرنسيين، وهذا ما دعا شاعر النيل عندنا أن يبيس لما تتعرض له لغتنا من جحود من أهلها وانتقاص من أطرافها فقال:

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ٢١/٩/١٩٩٩م

أيهجرنى قومي عفا الله عنهمو إلى لغة لم تتصل برواة  
سرت لوثة الأفرانج فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى سبيل فرات  
فجاء كُثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الأهلان مختلفات

ندوات ومؤتمرات حول أزمة لغتنا وتأثير ذلك على الشخصية  
والهوية والقومية<sup>(١)</sup>.

إن دراسة الطب عندنا صارت بالإنجليزية، هل يعكس هذا  
عجزاً فى لغتنا، أم انهزاماً ثقافياً وجحوداً من جانب علماء الطب مع  
كونهم مهرة فى فنهم وفهمهم، وما كان ينبغى لهم بدورهم أن يفترسهم  
الأسر الثقافى، فالقانون من قبل كان يدرس فى بلادنا بالفرنسية ولكن  
أساتذته كان سعيهم مشكوراً حتى صارت دراسته بالعربية، وبالعربية  
الفصحى، لأن المصطلح الأجنبى فى علم من علوم يظل من معوقات  
الفهم عند الطلاب ومتابعة الأستاذ على الوجه المأمول .

من أروع ما نشرته جريدة الأهرام مقالاً للأستاذ فريد تدرس  
بتاريخ ١٩٩٨/٩/٦ بعنوان مدارس لغات تجريبية، أم مدارس ضرب  
للهوية، وضرب لنا مثلاً بحفيده التلميذ بالصف الثالث الابتدائى بإحدى  
مدارس اللغات، حين ذهباً سوياً لشراء بعض الأدوات المدرسية من  
إحدى المكتبات، وبعد أن وقع اختياره على ما وقع، طلب البائع منه -  
مداعباً له - أن يجمع ثمنها بعد أن سجلها له على ورقة صغيرة،  
فرد عليه الصبى بأن يعيد كتابتها له باللغة الإنجليزية حتى يمكنه  
جمعها، لعدم استطاعته أن يجمعها بالعربية، التى اختارها رب العباد  
كما يقول صاحب المقال - لغة القرآن الكريم تشرifa للعرب وتكليفاً  
وتعظيماً !!.

(١) الأهرام فى ١٧/١١/٢٠٠٠م، مقال غربة للغة العربية.

هذا ما سجله المثقف العربى المصرى المذكور مع أنه من غير المسلمين.

والمصاعد الكهربائية فى المنازل والمكاتب مرقمة باللغة الأجنبية، مع أنها مصنوعة بأيدى عرب فى بلاد العرب، ومن الطريف أنه زارنى ذات مرة شيخ من قراء القرآن الكريم وعندما استقبلته وجدته متعباً ومنهكاً من طلوع السلم فسألته لماذا لم تصعد فى المصعد قال دخلته فوجدت الأرقام فيه والبيانات الأخرى باللغة الأجنبية فأثرت السلامة. وفى المطاعم العربية اليوم إذا دخل العميل سأله: هل تريد الطعام وفقاً لنظام الكارت أو المينى، وعندهم "تسيكن" ومعناها دجاج صغير وستيك وروستو، وفيليه، مع أن كل هذه المصطلحات لها بالعربية مقابل أخذ، ولكن المحاكاة بدورها مرض أخذ. وبالأمس كما أسلفنا حاولت ثلثة من المتفرنجين أن يستبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية كما فعل أتاتورك فى تركيا بدعوى اللحاق بركب النهضة فى الغرب، وماذا جنت تركيا بعد ذلك من تغيير حروفها، هل دخلت مع الداخلين فى رحاب الخالدين أم خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف.

وبالنسبة للمسلمين العجم فقد حدث اغتيال للحرف العربى الذى تكتب به لغتهم وتضيق الخناق عليه ومحاصرته لثنى المسلمين هناك عن استعمال الحرف العربى، وتحويل كتابتهم إلى الحرف اللاتينى إمعاناً فى عزلة ثقافية على العربية كما حدث فى تركيا وماليزيا وفى غرب أفريقيا عند مجيء الأوروبيين إليها حيث المكاتبات بينهم وبين السلاطين المحليين تتم باللغة العربية، وبعد أن استتب الأمر لهم فرضوا

لغاتهم خاصة الفرنسية على المنطقة، ثم استشرت الحملة لنقص استخدام الحرف العربي في اللغات المحلية.

أول طريق لفناء الأمة هو فساد لسانها والتهوين من لغتها، والغرب في جملته قد اعتز بلغته على تعددها فسادوا وعزوا، فهل تتحول لغتنا إلى حسناء عند أعمى .

كثيرة هي الخدع الثقافية التي استسلمنا لها ثم انتبهنا إلى مخاطرها، لكن الخدعة الكبرى التي تورقنا تلك التي توهمنا بأهمية التدريس في جامعاتنا باللغة الإنجليزية، حتى يكتمل مسلسل التثورة الثقافي لأنبغ نخبنا<sup>(١)</sup>.

### العربي هل يضطر لحمل القاموس الأجنبي :

في بلاد الخليج العربي على رحابتها واتساع رقعتها لا تنفك اللغة العربية في عملية الاتصال لكثرة الوافدين إليها والذين يتحدثون باللغة الأجنبية (الإنجليزية) فنثروها ونشروها، ولم يكلفوا أنفسهم عناء تعلم العربية في دارها، وفي بعض دول الخليج لافتات على الطرق العامة باللغة الأجنبية وحدها، كخفف السرعة مثلاً، وما على البدوي هناك إلا تعلم تلك اللغة الوافدة شاء أم أبى، وكذلك يحدث في المحلات التجارية.

نعم وقع المحذور، فالمفردات الأجنبية تتسلل إلى اللسان العربي مع أن الحاجة لا تبدو ماسة إليها، فهي كلمات عادية ولكنه الشعور بالدونية والانبهار بالغرب.

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ١٤/٩/١٩٩٩م

أخشى ما نخشاه أن يجئ اليوم الذى يحمل المثقف العربى معه كتاباً يقرأه وهو القاموس الأجنبى، فقائمة الطعام اليوم فى كل فندق ومطعم باللغة الأجنبية، وهذا أخطر مائة مرة من قصة الشعر الأمريكية التى يتزين بها الشباب المفتون، فقصة الشعر قد تتغير من عام إلى عام وقد تزول ولا تعود، لكن أن تخترق اللغة الأجنبية الجزيرة العربية مثلاً فتتحى جانباً من لغتنا الركن الأعظم فى هويتنا فهنا مكن الخطورة، ولا ينبغى حينئذ أن نشعر بالرعب أو الخوف من قصة الشعر ونتغاضى ببرود لافت عن التغييب الثقافى الذى يوشك أن يطمس هوية تلك الأمة المجيدة (١).

### جريدة الأهرام القاهرية، مختار الصحاح لكل سائق (٢)

لافتات المرور التى تكتب فى الشوارع لتهدى السائقين الحيارى، تحمل عبارات أجنبية توقع الحيرة بين السائقين، أى طريق يسلكوه وأى توجيه يتبعوه ومن ذلك "المتجه إلى شارع .. يتم الدوران من اليوترن..". وتابع ذلك " تعليق من تلك الجريدة المتألقة بأن كل سائق لابد أن يحمل معه القاموس العربى المحيط "مختار الصحاح" نظراً لأن اللافتات المرورية جمعت بين اللغتين العربية والإنجليزية، وتحولت إلى طلاس أمام الغالبية العظمى من السائقين سيما وأنصاف المتعلمين.

(١) مجلة كل الأسرة ٢٠٠٣/٤/٩م.

(٢) الأهرام القاهرية يوم ٢٩ يوليو، و ٦ أغسطس ٢٠٠٣م

## سابعاً : أضرار متفرقة :

البالية الروسى ينقض غزل العرب:

المسلمون لهم أعراف وقيم نابغة من دينهم ومجتمعهم فهل تماس العورات بين فتى وفتاة باسم الإبداع والذى قدمه الروس للعالم أجمع كهديّة له، شاهدا على الفكر اللاديني، هل نحن أهله؟ هل يليق بأبناء خير أمه أن يدخلوا فى سرادق الفن الذى يهزأ بالقيم.

كم من فتى مفتون أو فتاة، بذلك الفن الطارق الذى غاب عنا منذ آلاف السنين فاكشفه الروس وأشياهم، رقص من نوع حركات وتمايلات إلى احتضان وتبادل ومساس للعورات جهاراً بين فتى وفتاة لتشهده الفتاة العربية والفتى العربى ويصفقون له بحرارة بالغة.

هل هذا الفن المقتحم جزء من المشروع الحضارى الذى تنتظره شعوبنا المتعطشة إلى النهضة الحقة بعد غياب طويل عن ساحة الصراع الحضارى؟! كم من بلد إسلامى تروج لهذا الفن الطارق الذى تمخضت عنه بلاد الصقيع؟.

إن البالية الروسى الذى كسب الشهرة ونال درجة الأستاذية يعكس صورة المجتمع الذى شب فيه وترعرع، والذى أدى إلى الإلحاد وطرد الإيمان والفضائل، هل يرضى المسيح عيسى بن مريم وأتباعه هذا التطرف اللاديني المدعوم باسم الفن؟! وهل يشجع الرهبان فى صوامعهم تلك التيارات الهادمة للأعراف الدينية الماسة بالعورات؟ أم هو فن مقتحم لا مرحباً به عندهم بدورهم؟

لم يتغافل المسئولون فى البلاد الإسلامية وهم من سدنه الثقافة عن ضرورات الواقع الإسلامى والذين ترعرعوا فى ظلاله، فنعموا

بالسكينة والرقى والتوازن النفسى، فهل الباليه هو الدواء الشافى لمشكلاتها وأمراضها سيما بلاد الاقتصاد الفقير التى تتلقى الإعانات من كل محسن؟! هل يتضمن ذلك الرقص وثبة فى الصراع الحضارى الحقيقى الدائرة رحاه دون توقف؟!

إن الدولة التى ابتدعت هذا الفن قد أفل نجمها، وهذا يكفيها.

### علاقات الجوار تضعف أو تنهار :

فى الغرب كل تولى بركنه بعدما غلبت المادة على المودة، لأن الديموقراطية التى يتشبهون بها لا شأن لها بقواعد الأخلاق أو حسن الجوار، وأجهد رجال الدين أنفسهم هناك بلا طائل، ولم يبق لهم من عملاء إلا من أصابه الكبر، وذاع تقطيع الأرحام فبلغت المودة الشيخوخة وأحيلت إلى التقاعد مبكراً، أما نحن فلا يزال الغرب يحسدنا على ما نملك من ترابط ومودة وأخاء ونسيج اجتماعى متماسك، فهل نفرط فى مكنوناتنا تلك، كما فرطنا فى الكتاب من قبل؟!.

اليوم نفوح رائحة الجثة فى بناية عربية ولا يدري الجار بموت جاره الجنب!، أى تصدع فى نسيج المجتمع وعلاقاته الاجتماعية، حائط الجوار يريد أن ينقض بسبب سوءات الاغتراب الذى أصاب الكثير من متقفينا ومترفينا الذين يظنون أن فى التباعد عصرية وتقدم.

لقد غفل كل هؤلاء الفقراء فى الثقافة الإسلامية أن المودة فى القربى هى من أسباب السعادة لأن كل شئ تقسمه على اثنين ينقص إلا السعادة، فالترابط الأسرى والعائلى الذى يحض عليه ديننا هو مظهر للقوة الدافعة فى المجتمع كما يقرر علماء النفس والاجتماع، والروح المشرقة تنبعث من التعاون والتواد، وحينئذ يغدو المجتمع فى بحر من الهناء العائلى والاجتماعى .

إن الباحث والفاحص لأمراض واقعنا يلمح من رقيب أو من بعيد تصدعات هائلة في محيط الجيرة لدى المتقين أو المترفين، وزاد الطين بلة أن امرأتنا اليوم قد أصبحت مثقلة في حملها بعد أن خرجت إلى العمل، ومن هنا تعثرت الأسرة في الوفاء بما عليها من عهود اجتماعية أو دينية .

إن الجار الجنب والجار ذى القربى هو أخ لم تلده أمك تستصرخه فينصررك، فهو أقرب من القريب، فهل نركض خلف اللاهثين وراء النموذج الغربى لتكون الجيرة قد اقترب أجلها أو انقضت عراها.

### ولادة التطرف الدينى :

التطرف الفكرى عبء على الواقع الإسلامى يدفع إليه فى المقام الأول حماس الشباب مع نصف العلم بالدين، ناهيك عن أسباب أخرى، وفى هذا العصر ظهرت فئات كثيرة ضالة فى دينها ومتطرفة فى عنادها، بل وتبجحها فى إثارة مشاعر إخوانهم المسلمين والاستهزاء بهم، كالاستهزاء برجال الدين على الشائشة الصغيرة والكبيرة وبكل القيم الإسلامية التى أصبحت تكون أعراف ديننا، كما هى متطرفة فى نهب ثروات الشعب واستنزاف قوته، وتوجه ضرباتها الموجعة والمؤلمة فى محياه ومعاشه، أليس ذلك هو التدين المنقوص حقاً فى عصرنا ؟!

أجمل الثياب وأبهى الأزياء وأحلى القدود والخدود يفرض كل أولئك على شباب أبله عاطل وبائس ومحبط وعاجز عن الزواج وعاجز عن الحياة فمعناه إشعال الحريق فى جوف هذا الشاب وتفجير فتيل الحرمان، وهنا يقول أصحاب الفكر وأرباب القلم أن التطرف اللادينى

يولد التطرف الدينى، والتطرف الأول مبعثه تقليد الأجانب فى سيماهم الخلقية ومن هنا تكون انفجارات أصولية إسلامية<sup>(١)</sup>.

إن العوج يبدأ فكرياً لينتهى باسماً نراعية على الحياة العربية والإسلامية وأولى عواقبه لدى هؤلاء المتطرفين هو اعتزال المجتمع ومخاصمة الدنيا.

### ثامناً : من تحرير المرأة إلى تحريض المرأة :

كانت هى البداية والنهاية فى اختراق المجتمع الإسلامى، والشغل الشاغل للمبدعين وأهل التنوير، يضعون السم فى أكواب العسل، لأن تحرر المرأة يفسد حتى المرأة الصالحة كما يقول مثل روسى، ولكنهم جعلوه موضوع العصر وشعاراً تتلقفه المرأة ليعشش فى ذهنها تحريرها من كل قيد.

وإن تعجب فعجب أن ينادى الغرب بحرية المرأة، ثم يلزمها بأن تتجرد من اسم عائلتها وتنسب لزوجها، فأى تحرير وأى عبودية تلك.

والآن تستدرج المرأة من التحرير إلى التحريض، تحريضها على نفسها وزوجها وأولادها، وإذا كان القرآن قد سمى المرأة صاحبة، فهل يجوز أن تتقلب صاحبة على صاحبها ؟ هل يجتمع الهناء العائلى مع وخز الإبر من جانبها ؟ فتلك هى الفوضى السلوكية التى أجات الكثير من نساء الغرب إلى العيش مع الكلاب، والانفصال الجسمانى أو التفكك الأسرى فبم إن تبشرون.

العلاقة الزوجية هى علاقة حميمة، ومن صدق من الله قيلاً ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ومع ذلك صيحات تتعالى

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ١/١/٢٠٠٢م.

وندوات تعقد لتهب المرأة إلى إثبات ذاتها حتى تكون بمفازة من شباك زوجها تلك دعواهم.

وكم تعاني المرأة غداة ينفك عنها زوجها، فحينئذ توجه سهامها إلى نحرها.

ولا ضير في اقتباس تجارب الآخرين طالما أنها لا تصطدم بالدين، إما أن تكون واقدة من بلاد هجرت دينها فهنا مكمّن الخطر، لأنها حلول أجنبية لمشاكل وطنية، فإذا تفاقم الوضع ألقنا بالإسلام التهم وهو قد نحى جانباً ومبكراً عن الساحة، وهاكم صوراً من تحريض المرأة<sup>(١)</sup>.

#### دعاوى المرأة الجديدة :

نالت المرأة في الإسلام أعلى مراتب الكرامة، فهي الأم الرؤم صاحبة المقام الأسمى، والزوجة المصونة المدللة لدى زوجها والمليكة في بيتها، وهي الابنة الكريمة، وهي الأخت التي ترغد في كنف أبييها أو إختها.

أما المرأة الغربية فنحن مدعون للإشفاق عليها بعد ما صرح لها لتكون سلعة تعرض نفسها بدراهم معدودة، ومع ذلك فالإعلام الغربي يجعل منها نمونجاً للتقتم وعلامة على الحرية والكرامة، في مقابل المرأة المسلمة المظلومة أو المقهورة كما يدعي المبطلون، ومن هنا تنطلق الدعاوى الجديدة.

(١) أنيس منصور الأهرام في ٢٠٠٠/٦/٢م، ومن الطريف هنا ما يقال أن للرجل السعيد هو الذي لشغلت زوجته بتحرير المرأة.

وبادئ ذي بدء كل قضايا المرأة عندنا قضايا بلا متقاضين،  
وأزمات بلا مازومين، دخلت أجوعنا على حين غفلة من أهلها، وأصبح  
يروج لها على يد مدعى الإبداع.

### أ- القوامة المفترى عليها، تجاهل الفروق الفردية :

شعور فطري لدى المرأة بأن هناك من هو مسئول عنها، ولذلك  
كانت شريعة العزيز الحكيم لتحقيق لها هذا الأمل، فهناك فروق فردية  
بين الرجل والمرأة، فليس الذكر كالأنثى، من قال أن اللبؤة تريد أن  
تتحول إلى أسد، فأحلامها في إسعاد أسرتها، وكل ما تريده من زوجها  
الكلمة الطيبة وأن تكون في قلبه وعقله<sup>(١)</sup>، ومع ذلك يصر أذعياء  
التنوير على قسمة القوامة بين الزوجين ولو حدث خلل في بنيان  
المجتمعات، ناسين أن القوامة للرجل منذ أقدم العصور، بما فضل الله  
به بعضهم على بعض، فالرجل مكلف بالإنفاق عليها أما المرأة فهي  
تكملة بما يلائم فطرتها، فمهمتها الإعداد والتربية دون الإنفاق على  
نفسها أو غيرها، وهذا لا يعنى أنها تابعه له وإن كانت فالحكمة تقول  
كونى له أمة يكن لك عبداً<sup>(٢)</sup>.

إن القوامة في مفهومها السائغ في الشريعة الإسلامية ليست  
تصريحاً للزوج باستعلاء أو تسلط، ولا ينبغى الخلط بين ما يأتيه بعض  
المسلمين من تناقض بين مبادئ الإسلام وواقع المسلمين.

أما القول بأن المرأة قد أصبحت شريكة مع الرجل في الإنفاق  
على البيت فيكون لها الشركة في القوامة، فهو مردود لأن الرياسة لا

(١) ملحق الإيمان، الأبناء الكويتية في ٢٠٠٠/٤/٣٠

(٢) إسماعيل الفخراني الأهرام في ٢٠٠٢/٢/١١ م

تكون إلا لربان واحد فى السفينة، ومهما جاهدت المرأة العصرية جهاداً كبيراً، وصدرت لها قرارات ومراسيم، فلا تزال المرأة عندنا تحب الرجل الذى يحكم سيطرته عليها، ومهما ادعت التحرر والاستقلالية فإن "سى السيد" لا يزال يأسرها لأنه الوحيد القادر على إرضاء أنوثتها<sup>(١)</sup>، وتوفير الأمن والأمان لها، وقل صدق الله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

### ب- التسوية فى الميراث:

مساواة الرجل بالأنثى فى الميراث، عناداً لقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، والداعين إلى ذلك لم يستوعبوا تنزيل العزيز الحكيم، فمفاضلة الذكر على الأنثى عندما يكون الذكر مسئولاً عن الأنثى التى أخذ ضعفها، فهو يأخذ الضعف لينفقه عليها فيما بعد. أما الميراث إذا كان من جهة الأم فإنه يتساوى فيه الذكر والأنثى، ومن ناحية أخرى فإن الأنثى لا تكون مغبونة أبداً، فالإسلام أعفاها من الإنفاق على أقربائها إذا لم تكن ذات مال بخلاف الرجل، فهو مكلف بالإنفاق على من تجب عليه نفقته من الأولاد، ما دام قادراً على العمل فى حين أنها غير مكلفة بالإنفاق على نفسها ولو من مالها بل ولو كانت ثرية، فنفقتها على زوجها ولو كان معترراً. إن نظام المواريث فى الإسلام أعدل نظام عرفه العالم قديمه وحديثه، ولكن ماذا تقول لفقرائنا فى الثقافة الإسلامية؟

(١) مجلة زهرة الخليج فى ١٢/٤/٢٠٠٣م.

## ج- إلغاء عدتها واستبدالها بالكشف الطبي :

والعدة في الفقه الإسلامي ثلاثة قروء ليثبت براءة الرحم من الحمل، وقد ثبت طبيًا وعلميًا أن الكشف الطبي لا يظهر ذلك أحياناً إلا عند نهاية فترة العدة، التي حددها خالق الإنسان بثلاثة قروء، لأن المرأة قد تحيض وتكون حاملاً ولا يظهر حملها إلا عند نهاية العدة المقررة شرعاً، وحتى اللاتي ينسن من المحيض فقد تحمل مثلما حملت السيدة سارة بسيدنا إسحاق عليه السلام، ولذا جعل الله عدتهن بثلاثة أشهر، وهو أعلم بما سيصل إليه العلم في أى عصر يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١]، ناهيك عن أن هناك أمور نفسية ينبغي إعمالها وهو أنه ليس من المقبول والمعقول نفسياً أن تطلق المرأة أو يتوفى زوجها ثم تتزوج في اليوم التالي، لأن من مشروعية العدة إعطاء الزوج فرصة الرجوع إلى مطلقته في الزواج الرجعى بل دون كلفه، وفي حالة وفاة الزوج تعتبر العدة مواساة لأهل الزوج ووفاء للزوج.

ولكن المؤتمر النسائي الذي عقد أخيراً في الجزائر تحت رعاية المجلس الأعلى للإغاثة، قد أصدر توصياته الميمونة والتي تنص على أن للمطلقة أو المتوفى عنها زوجها الزواج فوراً دون انتظار انقضاء العدة، إذا رغبت في ذلك وأثبتت التقارير الطبية أنها ليست حاملاً، تلك دعواهم.

وأخيراً يسأل سائل بعد عرضنا لقضايا المرأة هل أنت عدو المرأة والجواب أنه لا يوجد عدو للمرأة وإنما توجد عدوه.

## الفروع الثاني النَّيْلُ مِنَ الْخُصُوصِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ

وهذا ما سنستعرضه في النقاط الآتية :

أولاً : التناقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين :

هزيمة سلوكية ترقبها الوفود الأجنبية التي تفد إلى الديار الإسلامية للاستمتاع بأعرافها النيرة، وخصوصيتها الحضارية والأخلاقية، فهو ينزل بلاداً تخلو من الفواحش ما ظهر وما بطن، والمرأة فيها مليكة متوجة تمشى على استحياء، فالحياء لا يأتي إلا بخير، لا تكشف عن ساقها أو تفضح عورتها، كما عهدوا في ديارهم، فإذا بهم يجدون ديار العرب وقد تحولت إلى أمة مائعة تتسول زادهما السلوكي من أمم أخرى ويغشاها الجحود لذلك الدين القيم.

نعم ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَكَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾ [الكهف: ٢٠]، فالانبيهار يؤدي إلى الانصهار والانصهار يؤدي إلى الاندثار، لقد تميزت مجتمعاتنا بقسمات وملامح تميزت بها في العالمين، فكونت تلك الخصوصية الحضارية التي نعتز بها في قرارة أنفسنا، وعزت بها دولتنا وأوصلتنا إلى الشموخ الحضاري، ولكن المحاكاة والتقليد في غير محمود السلوك خلف أضراراً عديدة مديدة، ولم يترك دقيماً إلا دقة ولا ذهباً إلا ذهب به ولا فضة إلا فضها، وماكم بعض ما اعترانا بسوء ..

فتقليد الأجانب في غير ممدوح سلوكهم يشوه واقعنا ويصيب المقلدين بالغرابة في أوطانها، وازدواج الشخصية، وثنائية المعيار، حتى

نصل إلى ما يسمى بالسلوك المضاد، وهو سلوك مصدره التسول من سلوكيات الأمم، وهو أرذل أنواع التسول، فتشبه النساء بالأجانب فى غير ممدوح السلوك قد ضيع أنوثة المرأة وأفقدتها شخصيتها الإسلامية، وأدخلها فى التية الحضارى مع أن دينها قد زينها وكرمها بحقوق لم تنالها امرأة فى مجتمع آخر (١) .

كم هى لظمة حضارية للخصوصية الإسلامية التى جاء بها الرسول ﷺ وقد أسس بنيانه على ما أوتى النبيون من ربهم فهل نتحول إلى مجتمع هجين مذبذب السلوك مهلهل الانتماء غريب الشكل ضعيف القومية والعصبية، يعيد إلينا الاستعمار من طرف خفى (٢) .

وفى العواصم العربية العصماء تجد اللافتات الأجنبية هى اللافتة لك، ويوم العطلة الأسبوعية هو يوم السبت والأحد تقليداً للأجانب، أما يوم الجمعة فهو عمل دعوب عند كبار التجار ورجال الأعمال وملوك الاقتصاد، ساهون عن أن ذلك يمثل هزيمة حضارية وسلوكية فى آن واحد لا تقدم لنا أى جديد، والغريب أن تلك الهزيمة الحضارية قد لا تحس بها وإنما يرصدها الأجانب الذين وفدوا يرمقون حضارتنا كما أسلفنا، حتى الطفل العربى نفسه يستصرخنا اليوم دعونا من التقليد فأنا لا أجد لعبتى المناسبة لظروفى وبيئتى، وتلك أم مسلمة تحقنى بجهالة بيابا نويل، هل يتحول اتباع محمد ﷺ فى واقعهم إلى مملكة من الطاووس فى مستنقع التقليد.

(١) الدكتورة/ أمنة نصير، اللواء الإسلامى ٤ يونيو عام ١٩٩٢م

(٢) فهمى هويدى، الأهرام فى ١٩٩٧/٩/٣٠

كم هو إقصاء للمسلمين عن أوطانهم وفي هذه إضاعة لمجد العرب، وتهميش لاتباعه وهنا نقول ما قال الشاعر

مشى الطاووس يوماً باختيال \* فقلده مثل مشيته بنوه  
فقال على ما تختالون قالوا \* بدأت به ونحن مقلدوه  
فخالف سيرك المختال واعدل \* فأننا إن عدلت فإننا فاعلوه  
وينشأ ناشئ الفتيان منا \* على ما يكون عوده أبوه

نخب محليه تقوم بترويج النموذج الغربى فى فروع شتى بحيث يتم الاستلاب من الداخل.

كم من كتاب عربى علم العالم، وفضل العرب على غيرهم مرصود فى ميدان الثقافة العالمية، وكان لهم الفضل المبين فى بزوغ فجر الحضارة الغربية، ولذلك يضحى تقليد الأجانب فى سلبياتهم منلة لا يقبلها أهل الشموخ، وقد فضلنا الله على الأمم قاطبة، ولكن اليوم ترى مثلاً جامعة عربية فى بلد عربى والتلميذ عربى والأستاذ عربى والمادة عربية ومع ذلك يدرسونها بالإنجليزية تبعية وانبهار بالآخر لا ضعفاً من جانب لغتنا.

حين تذهب إلى المجتمع الغربى من أقصاه إلى أدناه تجد مجتمع السلوك المباح، وحين تطلع اليوم على المجتمع الإسلامى تراهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهذا ملتزم وذلك منحل وهذه امرأة محتشمة وتلك سافرة أى الفريقيين أحق بالانتساب لهذا المجتمع، وهناك سماسرة للغرب إلى جانب ذلك يعرضون الشنوذ الغربى لتفتح عندنا أوكار للرزيلة والخبثا.

هل واجه أهل الغرب حضارة مثل حضارة الإسلام في تاريخهم، تلك التي أوقفت زحفهم منذ القرن العاشر الميلادي بل شنت شملهم، فكانت في دول البلقان، ومن قبل في أسبانيا مكث الإسلام فيها ثمانية قرون من الزمان، ولولا اختلاف الأخوة لاستمرت إلى الآن، ولا تزال حضارتنا رغم محاولات الضغط عليها تحتفظ بروح المقاوم العنيد.

إن تقليد الأجانب في غير معجزاتهم يصمنا بالركود الحضاري مهما أغرانا بادعوا التنوير بزعمهم برفاهية براقاة أو عزفت الأنغام على مساوئ السلوك المعادي، والذي يؤذن بخراب الحضارات ولكن بعد حين من الدهر.

لو أن شباب شعب عربي بكامله، قال لعمته يا تتنت أو لخالته، فهل يكون قد أذن مؤذن بالتقدم أم هو دلالة على الاستعمار الفكري والركود الحضاري، إن تخلى أبناؤنا عن التحلي بحضارتنا أكبر ظلامه للأطلس الإسلامي بما يتميز به من سعة وبسطة وخصوصية حضارية، نعم، هي لظمة حضارية قوية حينما يكون التوجه عندنا هو طرح نموذج العيش الغربي في الوطن العربي والإسلامي، ليعود استعمارنا في ثوب جديد قشيب وليعيش أبناء أمتنا وقد خارت عزيمتهم، وتحولوا إلى أذيال تجر.

ثانياً: تهميش العالم الإسلامي أمل العولمة (١)

شعاراتها كلها تستر النزعة الاستعمارية لتجميل وجهها القبيح، فدستورها فرض قيمها وثقافتها وأسمى أمانيتها تهميش العالم الإسلامي،

(١) حامد العلي، الإيمان، ملحق الأبناء الكويتية في ١/١٢/٢٠٠٤م.

وتسليم قيادة البشرية إلى ثقافة الغرب، وهناك من يحاول التلفيق بين العولمة وقيم الإسلام، وهي محاولات لتضييع وقت الأمة وعزلها عن سياقها، وإلغاء ذاتيتها بالاستعاضة عن كل تراثنا بمفاهيم لا تؤمن بوجود عبادة الله واتباع الوحي والاستعداد للأخرة، فالكون في نظرهم قد خلق لا لعبادة الله، والإنسان حيوان دائب البحث عن ملذات وشهوات، فالعمر فرصة قصيرة ولا ينبغي إضاعتها، والشهرة والمجد والجمال والمال هي أمانى تحمل لب السعادة.

والنتيجة من كل أولئك إنزال راية الإسلام من عليائها ولو كانت لا تزال خفاقة.

### ثالثاً : اختراق المجتمع المسلم بأسوأ ما فى المدنية الغربية :

نعم أن الغرب هو موئل الاختراع والمعجزات والمنجزات وقد ارتقت حضارته وعلا شأنها، ولكن هذه الحضارة العملاقة لها شقها السلبي، فظهرت فى ساحتنا أثار لم تكن من قبل تجوس خلال الديار دون أن تجد من يردها على أعقابها.

لقد تسللت إلينا روح الإشباع، هدف التنمية المنشودة فى الغرب، وحين تهيم تلك القيمة فإنها تضرب تلقائياً كل معانى القناعة والإيثار بل يصبح الحديث عن ذلك غير مرغوب فيه، مع أن رصيدنا فى القيم يحصد الجوائز، من المروءة والتضحية والبذل والفداء والتراحم والورع وجبر الخاطر، درجات عالية من سمو الإنسانى الذى يتجه نحو الآخر، أخاء ورحمة، اليوم انتشر أندية القمار فى العواصم العربية التى تجر ورائها أرتالاً من الوباء الخلقى والذى بدأ بالأجانب وانتهت بأصحاب الديار، وكانت تلك النوادى أكبر من القمار حيث تكون متجراً للخمر، ومن بعدها المتاجرة فى الرقيق الأبيض وينتهى كل أولئك بافتقار الديار وبيع للعقار.

## رابعاً : تعطيل جوانب الإبداع :

فقومنا عفا الله عنهم، يستجلبوا أدوات الزينة قبل أن يستجلبوا مقومات الحياة والحضارة الحقّة، ويعرضون لنا تسريحة المرأة الأوروبية قبل أن يعرضوا ألوان الآداب والمعارف التي حصلت لها المرأة هناك، فرفعت قدرها في أعين الناظرين.

تلك هي ضريبة المحاكاة والتبعية، شعوب لا منهج لها، تستهلك حضارة الآخرين ذلك هو قدر المقلدين، فالمحاكاة في غير منجزات الغرب تخلق مجتمعاً ذا خيال مريض، مصاب بازدواج الرؤية، مرض يفقد حاسة التمييز بين المحاسن والمساوي، فالتقليد المرنول يغلّق منافذ المعرفة ويعطل جوانب الإبداع ولا يعود معه الشاردون في التيه إلى السواء.

## توقفنا عند محطة التغريب لا التحديث :

لقد كانت الضربة في مقتل حقاً، فقد أجاها بنا التقليد إلى العجز والإحساس بالمهانة، حتى أن البعض قد تقول علينا الأكاويل بأننا أناس ليس أمهم إلا الانتحار أو الاندحار والاندماج في الحضارة الغربية، بعد أن كان العالم الإسلامي في طليعة الحضارة الإنسانية في حين أن من كانوا وراء تخومه هم البرابرة والكفار، فكان الإسلام قرين الحضارة، خذ ما يؤكد هذا، كتاب جديد صدر عام ٢٠٠٢م للمفكر الغربي "برنارد لويس" بعنوان ما الخطأ؟ تأثير الغرب واستجابة الشرق. فيقول بأن استجابة العالم الإسلامي للتأثر الغربي وقفت عند حدود التغريب، تحت إغواء تغريب الملابس والمأكّل والموسيقى والفنون. في حين أن دولاً كشرق آسيا استمدت تحديثها من الغرب وأفلتت من قبضة التغريب.

لقد تبنت دولنا مثلاً نماذج اشتراكية مستوردة صرنا نتشدد بها  
حيناً من الدهر، فحولت بعض أماننا إلى نظم فاشية أو نازية قمعية  
أحياناً، وبعد أن كنا خطوة إلى الأمام صرنا خطوتين إلى الخلف.

### خامساً : الحرج أمام الوفود الأجنبية:

ما هو الإسلام في مظهره ومخبره في دياره ؟ تلك بغية السائح  
في ديار المسلمين.

يفد إلينا الأجانب من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فديارنا  
كلها خيرات حسان، يطمع السائح دائماً في أن يجد المزيد والجديد بما لم  
يألفه في بلاده.

ولكن سائح الغرب إذا وفد إلى بلاد الشرق ليجدها صورة لما  
ألف في بلاده، فإنه يقلب كفيه على ما أنفق في رحلته، وكم يزدري  
المقلدين ويبطن لهم الاتهام باضمحلال الشخصية والتبعية حين يرى  
سلوكنا كسلوكهم وأزياعنا كأزيائهم ونساءنا على شاكلتهم، ملابسهن  
تجسد العورات، ملامح المرأة الشرقية قد توارت، كم يمر الندامة حين  
يجد بلادنا صورة للغرب، وكم يقللنا ذلك في أعينهم، مع أنهم قد قرأوا  
وسمعوا عن أعراف طيبة ودين القيمة وإشرافات روحية أفلست في  
توفيرها لهم الحضارة الغربية، كم يتحسر حين يجد عمارتنا نموذجاً  
لعمارتهم، حين يرى أماكن للخنا في بلاد إسلامية، حتى مطاعمنا،  
حين يرى قوانيننا كقوانينهم وفنون الرقص عندنا أخاذة، وبالجملة فإنه  
لن يتردد في إدراجنا في قائمة الذين فقدوا الهوية وصاروا تبعاً للأسياذ.

واهتمام المرأة العربية بالموضات الغربية وحرصها على التقليد، لا تستغية السائحات الغربيات اللاتي يحضرن لزيارتنا، أفصحت عن ذلك صحفية إنكليزية زارت مصر أخيراً، وكتبت مقالاً فى مجلاتها تقول فيه: "لقد صدمت جداً بمجرد نزولى أرض المطار كنت أتصور أننى سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة، ولا أقصد بهذه المرأة التى ترتدى الحجاب والحبره، وإنما المرأة الشرقية المتحضرة التى ترتدى الأزياء العملية التى تتسم بالشرق وتتصرف بطريقة شرقية، فالأزياء هى نفسها بالحرف الواحد، وتسريحة الشعر هى نفسها، والمكياج هو نفسه، حتى طريقة الكلام والمشية، وفى بعض الأحيان إما الفرنسية أو الإنكليزية<sup>(١)</sup>.

ماذا تجيب المرأة العربية الكاسية العارية على السائحة الأجنبية حين تسألها عن زى قومها، لا جواب سوى التلعثم والخزى، كم ألقى التقليد أضواءً باهتة على تراثنا ومجدنا، فإذا لم يجد السائح بغيته من رحلته فلن يعود إلى بلادنا مرة أخرى، لقد جاء يبحث عن الجواهر الكامنة فى بلادنا، فإذا به يجد الذهب قد ذهب وذهبت معه الخصوصية الحضارية بثمن بخس.

### سادساً : تأكل حضارى حتى فى مجال الفنون

مرحباً بالفن والمبدعين فى كل واد، نستقبله بالورود والأحضان، فهو من سمات الحضارة والارتقاء ولا يجحد ذلك إلا مريض الجمود الفكرى، ومن هنا كان للفن الإسلامى دولته ومكانته لأنه كان محوطاً

(١) سيد سابق فقه السنة ص ٤٦

بسياج الدين، ولكن التقليد الذى دب فى هذا المجال نال من خصوصيتنا وما كان ينبغى .

فالغناء العربى : أصابه التقليد (والتنطيط)، فقد طفا على السطح طواوير المبدعين بزعمهم، وصار الشباب همهم الرقص والنقص، بعدما أسكرتهم الموسيقى الصاخبة فقهوا فيها أو لم يفقهوا.

وطغى المدعون على المبدعين وصارت الأغنية العربية صراخاً وصخباً وكلاماً يفسد الذوق، والآلات الموسيقية التى أنتجت تراثنا صارت مهددة بالهجران، وصار الفنانون يشكون بعضهم بعضاً لأن من شيعتهم من وقع فريسة تقليد الأجانب<sup>(١)</sup>.

ولقد وصل الفن لدينا إلى طريق مسدود أو قل فقد رسالته، فما يحدث الآن لا يمت من قريب أو بعيد إلى الفن إنما هو فى الغالب عرى وابتذال وترويج للإباحية، والأسوأ أننا قد نقلنا رؤية الغرب لمسألة الجنس وتصوره عنها دون أن ندرى بطبائع مجتمعاتنا، ويجار المنصفون منا اليوم لضبط ما يقدم باسم الفن وعرض كل عطاءات الحضارة الغربية فى شقها السلوكى على مبادئ الإسلام، فما وافقها قبلناه وإلا رجمناه.

أعمال فنية بالغة الهبوط تعرض على شبابنا بالغداة والعشى نتاج الاجتراء على الفواحش واستباحة الحرمات وتفشى الفراغ العقائدى والتفسخ الخلقى الذى انحدر إليه أصحاب الاختراع والابتكار، وقد أعان على ذلك الاستخدام السيئ لأجهزة الفيديو التى يقبل على اقتنائها المترفون، وهو ما يعجل بالفسق المبكر لأبنائهم، وأعمال يقال أنها فنية

(١) جريدة الأنباء الكويتية فى ١٩/٤/١٩٩٨م، الأهرام القاهرية فى ٦/٦/٢٠٠٣ الأغنية بين الفخ التجارى وألية القنوات الفضائية.

وهي تحط من قدر المرأة وتجعلها فريسة للرجل ولا ضير أن ينقض عليها إن لم تسلم نفسها له بالمداعبة أو الرضا.

أما الوجه الوضوء للحضارة الغربية فإن تجار الثقافة عندنا عنه عازفون، فهم فقط مولعون بالسفالة الجميلة وشهادة الزور .

ليكن معلوماً بالضرورة أن الإسلام لا يحرم الفن وإنما يحرم الرذيلة، فالفن الملتزم ينمى المشاعر الإنسانية ويحضنا على المحاسن - أما أن تتحول المرأة المسلمة في محراب الفنون مثلاً إلى صديق لرجل أجنبي أو عشيقة وخادمة له تحت شعار الحب والهيام، وتتفشى عندنا الغواية فأين الشرف والعفاف والعرض المصون الذى يسجله الغرب لنا ويود أن ينقله إلى رحابه؟! لقد خلت الفاحشة من بلادنا قرناً طويلاً رغم انتشارها في المجتمع الغربى بشكل طبيعى، فهل تعود إلينا مع أنباء رذائل الحضارة الغربية المرموقة؟.

والشعر والنحت والتمثيل والموسيقى وغيرها من الفنون الراقية لا يعاديا ديننا طالما تجردت مما يسئ إلى العقيدة، فقد مارس أبناء الإسلام كافة الفنون في تعبيرها عن النفس البشرية وأبدع بنوه أشكال متنوعة من الشعر والموسيقى والتصوير والنحت والرسم والعمارة، وكان ذلك أبلغ تعبير عن هوية وذاتية عريقة عريضة اتسعت لكل الخصوصيات الحضارية، للأجناس والأمم التى دخلت فى دين الله وتباركت بسننه، والإسلام لم يمنع الصورة وإنما منع عبادة الصورة ومنع تقديسها ولا يحرم السينما والفيديو طالما كانت النية فى استخدامها خيراً، فقيمتها فى استراتيجيتها الفكرية والتربوية والثقافية التى تتركها وترسم لها إطار عملها<sup>(١)</sup>.

(١) اللواء الإسلامى، ٢٣ شعبان ١٤١٢ هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٩٩٢ م.

إن الفن ليس عيباً، وإنما هو أمر وعلم مفيد للناس إذا كان الفن المبسوط لنا هدفاً يحمل رسالة مضمونها أن نرتقى بالحياة إلى الأفضل، وهو يكون كذلك إذا لم يتعارض مع القيم وحث على الفضيلة والظهور وأسهم في حل المشكلات وميز الخبيث من الطيب.

### سابعاً : نعم للتواصل الثقافي لا للانصهار:

ذلك أن المحاكاة في الظاهر تؤدي إلى المحاكاة في الباطن ولو بعد حين، فالتقليد صلة روحية بين المقلد والمقلد، وواسطة انتقال لمعتقداته وأفكاره و"أيديولوجياته" إليه، إما بشكل مباشر وعنيف ودفعة واحدة، كما حدث في تركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك، وإما بشكل تدريجي سريع أو بطيء كما يحدث في كل زمان ومكان بين كل مقلد ومقلد.

إن التواصل الثقافي بين الشعوب مطلوب، ولكن الانصهار في بوتقة الآخرين عار ومذلة حيث ينخلع النشئ من ذاته وينسلخ من سلوك دينه أيهبط من عليائه إلى دنيا السفالة الجميلة، التي تسلب حسهم وحماسهم وأول الضحايا هم طالبات الجامعات، سيما الذي يملكون الفضائيات، فدلّت المقابلات الميدانية على أنهم قد أصيبوا بتأخير واجباتهم الدينية والأسرية والعلمية، كما زاد الشعور بالشقات، وصار الاهتمام أكثر بالمظهر دون الجوهر والديكورات وأنواع السيارات، صرنا متأزمات سلوكياً ونفسياً، فلا مانع من الاقتداء بالعلاقات الاجتماعية التي نشاهدناها في هذه الأفلام، ويتمنى البعض أن يمارس

حياته كما تمارس تلك المجتمعات الغربية، حيث تستحوذ فكرهم ولبيهم  
أوهام السينما والأوضاع الإباحية الغربية، والخيانات الزوجية التي تقوم  
لهم كزاد فكري أو ثقافي، في ألوان من التطرف الخلاب الذي يعرض  
الانحلال الغربي في بهاء يأخذ بالألباب ويلبس العهر أثواب العز،  
ويكسو الرذائل بهالات الزخرف، ويصبح هذا غذاءً يومياً وشهوة لا  
تقاوم، اعتادها المشاهد العربي للسلوك الأجنبي، وهو ما يستدرجهم  
للتطرف اللاديني نتيجة بريق النموذج الغربي، وأسفاه في جوانبه  
المستهجنة<sup>(١)</sup>

---

(١) د. مصطفى محمود، الأهرام في ١١/٤/١٩٩٢م

## الفرع الثالث

### الخطر على الذاتية الإسلامية

( أجيال مأزومة أو مهزومة )

وسوف نستعرض ذلك من خلال ما يلي :

أولاً : تجريف الهوية الإسلامية :

تغيرات جذرية تطرأ على الذات الإسلامية، يقدمها تضاعل النظرة إلى القيم والسلوكيات والشمائل الطيبة إلتى يتسم بها فتى العرب، واران علينا اتجاه محموم لتحصيل المادة والتحصن بها، وهو ما يخلق أجيالاً فقيرة فى النبل، ضعيفة فى حسها الوجدانى وسلوكها الدينى .

هى خلاصة حرب كامنة على الأمة، لم تعد تستهدف نظام حكم أو ثروات أو موقعا جغرافيا، وإنما تستهدف الذات الإسلامية لاحتكاكها وافتراسها، لقد استقدم التقليد فنونا من تقاليد المنتصرين فى الشرق والغرب، تجرنا -واسفاه- إلى بوتقة المدنية الغربية فى سلبياتها دون إيجابياتها، وتصفية كياننا وجعلنا هزىلاً يجر عن طريق ربطنا أجيالنا الصاعدة بمفاهيم تطمس المعالم الإسلامية وتخلق أجيال لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، منبته عن أعرافنا نابية عن عقيدتها وأخلاق أمتها حتى يصل الأمر بهم إلى الذوبان.

والباحثون أبدوا مخاوفهم من أن الطلاب العرب بالمدارس الأجنبية وفى الجامعة الأمريكية يخلعون رداء الهوية العربية قبل أن تطأ أقدامهم تلك المعاهد، مع أنها أهلت لتعليم الجاليات الأجنبية وربطهم بوطنهم، فهل يؤدى ذلك النوع من التعليم إلى التعتيم على ثقافتنا وقيمنا عندما يركز على التعليم باللغة الأجنبية من الحضانة حتى الجامعة<sup>(١)</sup>.

(١) الأهرام الاقتصادى ٧ أغسطس عام ٢٠٠٠م

إن ثروة الأمم الحقيقية هم أبناؤها، وإذا تحولوا إلى غرباء فى أوطانهم فتلك حالة من الانفصام الوجدانى عن أممهم، والغربة النفسية التى تتصارع مع قانون الولاء لأوطانهم، ولذلك تتسابق الدول فى محاولة إبراز الملامح القومية، فتطرح الكؤوس والجوائز للحفاظ على الأصالة خشية التغير والتغيير ببدائل أجنبية.

لقد أصبحت مناهجنا التربوية تستشهد بفرويد وتترك "ابن خلدون" وتركت مؤلفات الغرب المدرسية بصماتها فى العقول التى أشربت بحبها، وأصبح الشعور بالدونية تجاه الغرب موضوع الموضوعات.

### أخطار بالجملة :

من أخطر أمراض الواقع الإسلامى الراهن هو خلق أجيال لاهية قلوبهم عما يراد بهم، فقد أنتج الخواء الثقافى الضارب أطنابه فى البيت الإسلامى أجيالاً يمشون فى سراديب الحضارة المعاصرة كما تمشى الفئران فى الظلام لا ترمق إلا الفضلات، وهو ما أدى إلى تسرب أفكار الأجانب وسلوكياتهم فى المساوىء دون المحاسن، وليس هذا دأبنا أو أدبنا، وحتى النخبة المثقفة والذين نصبوا أنفسهم أولياء مرشدين على هذه الأمة كان حظهم فى الفقه قليل، وللدلالة على الأمية الدينية التى أصيب بها هؤلاء أسأل من شئت منهم عن صلاة الوتر أو الاستخارة أو حتى عن الشهور العربية ما هى، أو ترتيبها، تجدهم وكأنهم من العجم وليسوا من العرب!!.

ويرصد لنا شيخ التربويون الدكتور حامد عمار أن شخصية  
الفهلوى والهباش التي استشرت عندنا في مجتمعنا هي من أخطر  
الظواهر السلوكية التي تمثل اعتداءً صارخاً على تراثنا الفكرية  
وموروثاتنا السلوكية والقيمية<sup>(١)</sup>.

إن التقليد لا يكون إلغاءً لشخصية فحسب، ولكنه يكون قتلاً  
للإنسانية في الإنسان، وإنهاءً لوجوده بيده، وتحطيماً لمبدأ تكريمه  
الإلهي، ونزولاً إلى درك العجماوات التي يقود قطيعها واحد منها،  
فيسقط القطيع كله متتابعاً إن سقط ذلك الواحد، ويستمر مستقيماً في  
سيره إن استقام، ولأجل ذلك شنع الله على المقلدين لأبائهم بلا علم ولا  
بصيرة ولا هدى، وكذلك الذين لا يعملون عقولهم في مثل قوله تعالى :  
﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ \*  
وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا  
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ \* قَالَ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا  
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٤]  
فخطورة التقليد الأعمى في المرذول من السلوك في كون المقد  
يظن أنه مهتد وهو ضال، ويرى نفسه على حق وهو مرتكس في حماة  
الباطل، مقارن للترف، بل هو إحدى نتائجه الحتمية المريرة .  
وخطر آخر للهزيمة هو استخفافه بدينه واحتقاره له، متصوراً  
أنه سبب ضعفه وعجزه وغلبة الغرب له وانتصاره عليه، فيؤدي هذا  
إلى انسلاخ مقنع منه، لا بل وثورته عليه!!<sup>(٢)</sup>.

(١) الأهرام في ٢٠/٢/٢٠٠١م.

(٢) عبد الله الشبانة ص ١٥٦.

## جيل إمعة ومزيد من كم التفاهة :

هل يليق بأحفاد الأسلاف الصالحين، أن يتحول البنون والبنات إلى سوار في معصم الغرب، فرحين بالقشور دون اللباب، فإذا رأيت ثم رأيت ترى قطعاناً من الشباب لا يوحى مظهرهم بأنهم أبناء العرب، قمصانهم وسراويلهم لا تمت إلى أمتنا بصلة، لباسهم وشعورهم المراسلة غير المهذبة التي لا تمت إلى حُسن السميت الإسلامي، الذي يعكس أصالة المعدن وطيب الجوهر.

إن الجماهير العريضة الذين أصيبوا بالجذب الثقافي فاستهوتهم تقاليع الغرب غافلين عما يراد بهم، يلبسون على رؤوسهم إيشارب وفي آذانهم قرط كالنساء على غرار ما جرى في أوروبا، ناهيك عن السلاسل التي تطوق الأعناق، كم يسر الندامة وخاصة في مجتمعات الاقتصاد الفقير، أم ناشئة تريد أن تنهض فتتعثر، أرداهم التقليد في المساوي، وإذا دعاهم داعي الرقص يتأبطون بعضهم وتعلوهم السطحية الحمقاء فكل ما فعلوه هو استيعاب أفلام الشرق والغرب وأحداثها بذكاء وكذا المخرجين والمنتجين لها، وهو ما يصممهم بالتسطيح الفكري<sup>(١)</sup>.

نعم هو تقدم في عرف الغاوين، خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف، وتقدم ياباه ديننا الحنيف الذي يقوم على ثقافة بناءه لا ثقافة الفيشار ثقافة ينبوعها قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد، فذلك هو الرقى الحقيقي، هل يقتاد شبابنا إلى ساحة القضاء بتهمة محاولة تقويض البناء الشامخ المجيد، هل يسجل التاريخ في صفحاته التي لا تعرف التدليل أنهم تحولوا إلى جيل أشبه بعصف مأكول.

(١) يسرى عبد المحسن، السم في العسل، الأهرام في ٢٠٠١/١٢/٢م.

نعوذ بالله أن ينطبق على أجيالنا قول ربنا ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً﴾ [مريم: ٥٩]  
فتقليد الأجنبي بحسبه البسطاء مجرد محاكاة لتقاليع وافدة، فى حين أنه مظهر للضياع الدينى، ويخشى عقلاء الأمة أن يصل السكين إلى العظم، ويتحول المجتمع حينئذ إلى خليط من المضحكات والمبكيات.

إن إحصار التغريب الذى يلف مجتمعاتنا قد طال السنة الناس، وأنماط حياتهم وسلوكهم، فى غيبة نموذج المجتمع المسلم، ألا يشكل هذا قلقاً على الحاضر والمستقبل سيما مع الحرص الشديد على التردد على بلاد الغرب، والشعور الذى يغمر الذاهب إلى هناك، مع إحساس ملازم بعجزنا عن اللحاق<sup>(١)</sup>.

هل يكون نصيب الذات الإسلامية أن نرضى من الغنيمة بالإياب ويصبح انبهارها بالأجانب فى سلبياتهم مجرد انخداع بسلوكياتهم ولا صلة لها لها البتة بأى تقدم أو تقنية، كم يصلب أبناءنا بالازدواجية لا بل وأزمات نفسية وهزائم حقيقية تمارس باسم الحرية المدنية، سيما مع ضعف السلطان الدينى، وإثارة الشبهات حول ديننا بأقلام دعاة اللادينية، مع العجز عن ردها بأسلوب عصري، يفحم المردة، ليس انهزاماً حقيقياً لأجيالنا حيث يصبح محل اهتمامه بشعره ونعله وخصره على النمط الأوروبى، وحيث تتحول المسلمة كاسية عارية لأبسة (للأسترش) الذى يجسد عورتها، (والخنفسة) فى مظهر الحدث، وصوت الديسكو الذى يحجب الأذان عن سماع نداء الرحمن، والرقص والقبلات والاختلاط،

(١) فهمى هويدى، الأهرام ٢٩ مايو، سنة ٢٠٠١ م.

ألا يصاب أبناء السلاسل الذهبية حينئذ بالتسوس والهزيمة الروحية  
والنفسية، ويستفحل الشعور بالدونية ومسخ الشخصية فيصير أشبه بفتى  
أعجمى فى بلد عربى (١).

## ثانياً : كثرة الغرقى فى مستنقع التقليد

### ١- شبابنا (كاجولوه) .. وأمركوه

شبح يطل عليهم كل حين فلا ينجو منه إلا من عصم الله تلك  
هى العولمة الطارئة، فلامح الغزو تدق على الأبواب فتحول اهتمامات  
الشباب وتمحورها فى القشور الخارجية، المظهر ووسائل رفاهيتهم

#### (١) خيبة الأمل فى ستار أكاديمى :

فقد جاء فى مجلة حواء تساؤل عن الاستقبال الدولى لنجوم "ستار أكاديمى" والذى  
بثته الفضائيات العربية ما يلى : "شوية عيال نكشة شعرها وربطة إيشابات على معاصمها  
كما الفتيات، صدمت من الدهشة وأنا أراهم شابات وشباب يرقصون ويقفزون فى الوقت  
الذى تقدم لنا شائعات الفضائيات وأيضاً المحليات شباب وأطفال العراق وفلسطين مطروحين  
على الأرض غارقين فى دمانهم .. وازدانت دهشتى وصدمتى وخيبة لملى فيهم وأنا أتابع  
فقرات حفلهم من خلال البث المباشر لا صوت ولا صورة ولا أداء فقد أساءوا للفن الجميل،  
أغنى زمان والجميل منها الآن بهذا الداء الضعيف على المسرح.. حزنت أكثر أن يشارك  
إعلامنا فى هذه الفضيحة، وكنت أتصور أن مثل هؤلاء الشباب بطوفون العالم من أجل طرح  
قضية السلام أو نبذ الحروب عن منطقة الشرق الأوسط وجع التبرعات لصالح القتلى  
والأرامل وبناء المنازل المهدومة بدلاً من النط والقفز والهيافة التى شاهناها على مدار  
يومين، يوم الوصول ويوم الحفل، وقد نجحوا فى استفزاز الناس فى هذا التوقيت الحساس"،

مجلة حواء، ماجدة محمود، فى ٢٩/٥/٢٠٠٤م.

(٢) انظر مجلة كل الأسرة، ٩ أبريل ٢٠٠٣م.

سيما المراهقين، وكان هناك شبكة خاصة مهمتها نشر الموبقات الغربية، حتى قربت المسافة بينه وبين الآخر الغربي، من ذلك تسريحات غريبة للشعر واللحية كما أسلفنا بألوان مختلفة تتراوح بين الفاتح والداكن.

وذهبت الفتيات بدورها إلى تقليد ملكات الجمال العالميات في اختيار لون الشعر وتسريحته وما إلى ذلك من سلوكيات.

ومما داهمنا ذلك الوشم الذي يضعونه حتى على الفقا، وهناك أيضاً سيارات الموت الجماعي، موضة داهمت الشباب تحت تأثير التقليد الأعمى، لما يرونه في أفلام الإثارة. "الأكشن" وهو أمر مقصود لاستنزاف الشباب العربي، لأنه كلما مات شاب ماتت الأمة، فالأفضلية للغرب حتى في سيئاته، بسبب استسهالنا للتقليد والشعور بالدونية واحتقار الثقافة المحلية، وهنا تكون العولمة أو الأمركة قد أصابت هدفها.

فلقد أصبح البنطلون الجينز هدفاً وأصبحت وجبة الهامبورجر حلماً. حضارياً وأصبح أبنائنا تبعاً لثقافة متعدية، ومراكز التسوق على نلكم من الشاهدين.

## ٢- عنت الشاب بعد زواجه بالمتفرجة :

نعم فهو شاب له جذوره الإيمانية، ولكن قد تستهويه فتاة متفرجة برزت له مفاتها، فأقبل عليها لتكون هي قرينته وشريكته. فإذا بها مصابة بجرثومة التفرنج والتقليد فتأتى بسلوكيات لا مرحباً بها كأن تستهويها حفلات "البارتي" فإذا به يضيق بها نرعاً، وهو ما يهدد مصير الأسرة بالفشل أو التمزق الأسرى .

### ٣- والمدمنون الجدد غارقون للأذقان :

هم من أبناء المترفين والراقيين، أعمارهم من الثانية عشر حتى الثلاثين وهم جميعاً في سلة واحدة، أجاؤ بهم الترف المتأخى مع فقر الثقافة الإسلامية، إلى عقار النشوة والشهوة أو ما يسمى "الاكستازى"، وهو مخدر مدمر موطنه أوروبا أو الغرب بوجه عام، يروجون له في مجلات الديسكو، وتبدأ المأساة، ليقعوا في براثن هذا المخدر، لينتهى بهم المطاف إلى غياهب السجون وتصدع الأسرة وزوال النعيم المقيم. من سول لهم وأملى لهم، هو تقليد الغرب ولا نبرئه من الاتهام. لقد جنت عليهم أيضاً النشأة الأولى والتي خلت أو خوت من الحصانة الفكرية التي تدرأ عنهم أشرار البرية<sup>(١)</sup>.

### ٤- مطرباتنا من التغنى إلى التعرى ومن اللحن إلى اللحم<sup>(٢)</sup>

نقلة حضارية كبرى نصفق لها : مأساة تدور رحاها ويسقط ضحاياها على شاشات القنوات الفضائية العربية كل ليلة، تحاصر العرب من المحيط إلى الخليج بكل ألوان الفن الهابط والكم الهائل من المطربات شبه العاريات، حتى أننا قد نصبح بعد وقت قصير على شفا أعتاب العرى الكامل، فمن يقف وراء هذا الهجوم الضارى على أجيال هذه الأمة والتي يكاد يغرقها في مستنقع قد لا تخرج منه أبداً. نعم إن من حق الأجيال الجديدة أن يكون لها فنها وذوقها ولكن ليس على حساب الفن الأصيل المؤثر في حياة الشعوب، فالفنان الأصيل صاحب رسالة أمجد.

(١) الأهرام فى ٢٠٠٢/١١/٩م، ٢٠٠٢/١/٥م،  
(٢) انظر: فاروق جويده، الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٨م.

لماذا يتحول المغنون في العالم العربي إلى تجار يعرضون اللحم العربي، يبيدين زينتهن ما ظهر منها وما استتر، وعلى شاشات الفضائيات لعله يعوض القصور الذي انتاب الكلمات والألحان والصوت الحسن، ليتداخل الغناء العربي مع الأجنبي، ما هي الأيدي الخفية التي تحركها أو تمولها وليغرق الشباب وليفسد الذوق وينكب المراهقون على مشاهدة الأجساد وسماع المطربات فقط، ولتجئ الأمة العربية كل ليلة تتعقب أحوال السفالة الجميلة بوجودها أو تتلذذ بمشاهدة أجساد النساء وهي صاحبة التاريخ العريق والفن الأصيل.

هل هناك علاقة نسب أو مصاهرة بين التذنى الثقافى الكائن والسقوط السياسى والعسكرى وبين انهيار صرح الغناء فى العالم العربى بعد أن كدنا لا نفرق مطربة عربية وأختها الأجنبية ذات الأسوة الحسنة.

#### ٥- التغير سيمًا بالفتاة الخليجية :

كانت هي آخر القلاع الحصينة في سلوكها المعتصم بكتاب ربها، فقد نجت بلادها من الغزو الاستعماري والسلوكي، وقد أمدم الله بمال ممدود ولكن لم يصحبه ثقافة إسلامية عاصمة من الشرك الخداعة، فتمردت على الأعراف ودخلت في مستنقع السلوكية الوافدة حتى صارت تلبس زياً لا يناسب قدها وقوامها وقومها.

ولا مانع في بعض البلاد العربية اليوم أن تراقص الشباب في حفلات الترفيه، وبالجملة أصابها بدورها ازدواج في المعيار وشعور بالدونية، ابتداء من شعرها إلى نعلها سيمًا إذا كتب لها أن تسافر خارج بلادها، فسرعان ما تتمرد على رداؤها مع ما فيه من حسن سمتها ومظهر دينها.

### ثالثاً: الوقوع فى التيه الثقافى :

نعم شكلت عقولهم فى مناخ غريب فأصبحوا لا يرون إلا ما يرى الغرب وأشربوا فى قلوبهم حبه بما له وما عليه، وهم فى ازدياد مضطرد، ثلثه من اليساريين واللا دينيين، العداء للإسلام منهمجهم، مع أنهم ينعمون فى ربوعه، ديدنهم الترويج لقضايا المرأة وإدعاء نصرتها، مع أنها أمنة مطمئنة، وامرأة الغرب هى الأوج إلى النصره، هم يدعون إلى الإسلام ومع ذلك يتربصون بأهله الدوائر ويقعدون لهم بكل صراط سيما رجال الدين، وحقيقه هؤلاء أنهم أقرب إلى السماسرة للغرب من أبناء الوطن، ومع ذلك تتفتح لهم الأبواب فى أماكن الصدارة ويسعون سعياً حثيثاً لجمع صفوفهم وشتاتهم ليكونوا أكثر نفيراً فى البلاد العربية سيما التى اکتوت بنار الغزو الفكرى، ويطلقون محابات كثيفة من الدخان للتمويه والتضليل، ولا يتقيدون بقواعد المنطق وآداب المناظرة، يطوعون أفكارهم للتواعم مع المجتمع، ويسوقون الأدلة فى غير موضعها، وقد نجم عن ذلك أمرين :

#### مثقلون للبيع :

أحياناً يحملون أعلى الشهادات ويتبوأون مقاعد القوة والصفوة فى أمهم، ولكنهم فقدوا الاعتداد بالحس القومى أو الدينى، ترى كثيراً منهم يتعافلون سهواً أو عمداً عن البون الشاسع بين منظومة القيم الإسلامية والغربية، فقيمنا هى خلاصة ما أوتى النبيون من ربهم أما عندهم فهى مما عملت أيديهم، فكانت النتيجة أن التيارات الوافدة صارت تجرفهم كالسيل المنهمر فإذا عصفت به الريح تحول إلى ليرالى عنيد، وبعد فترة قد يتحول إلى داعية للرأسمالية، يستخفون بقومهم المسلمين

يجوبون بين المذاهب ويطوفون ودعواهم التقدم كما تقدم الغرب، فكثير منهم فى البقاع همهم أن ينتقدوا أركان الإسلام وأن يجادلوا فى البديهيّات، وأن يخطئوا دون حرج باسم حرية الرأى لإهدار شريعة الصوم، وتذهب عصابة حرية الرأى كما يسميها الشيخ الغزالي إلى التحريض على إباحة العلاقات الجنسية بين تلاميذ المدارس كما فى السويد، حين حملت تلميذتان كل منهما من زميل لها فى المدرسة، ولم تر الحكومة هنالك بدعاً من الأمر. وهناك من يشجع المرأة اليوم على ارتداء المايوه كأنه أصبح حقيقة أكبر من هيئة كبار العلماء وتلك أمانيتهم، بانكسار شوكة الإسلام، وهذا من ثمرات الاحتلال الأجنبي أو الغزو الثقافي، فصارت تحاك المؤامرات ضد الشرق والحياة والحشمة والعصمة<sup>(١)</sup>.

### تشوش المثقف العربى بسلبيات الفكر الغربى واختلال المنظومة الفكرية سيما لدى الشباب :

المثقف العربى صار يجتزأ أحياناً أفكاراً من نحاس مطلية بالذهب، تموج بزخرف القول غروراً تصيب عقولهم وحسهم لتتركهم أسارى فى سرادق الانبهار والتقليد، عروس اليوم مثلاً ثقافتها إنجليزية أو فرنسية دون أن تدرى فحوى هذه العبارة وما تحمله من تبعية ودونية لغير قومها، والمساواة بين الجنسين أمنية الأمانى، وقد أعملت ذلك بعض الدول الإسلامية فى الميراث، وتلك فتاة عادت من الغرب من رحلتها الدراسية، شرقه الشيوعى أو غربه الصليبي لتنتكر للسلطة الأبوية والأدبية، ترى فيها انتقاصاً للمرأة.

(١) محمد الغزالي، ظلام من الغرب، ص ١٤٩، وما بعدها.

والمرأة المثقفة صارت تستमित في الدفاع عن العمل أكبر من دفاعها عن الأسرة التي أهلت لها، نعم لا جناح عليها إذا اضطرت للقمة العيش، أما أن يتحول العمل إلى سوق أغلبه من النساء لينقسم عقل حواء بين البيت والعمل، فكم تصاب بالتشتت الذهني، أما الضحية فهم أطفال المفاتيح، الذين يحضرون إلى المنزل قبل حضور الوالدين من عملهم ومعهم نسخة من المفاتيح.

فأطفال المفاتيح نتاج أم تخلت أو أب مشغول، الأم تاركة دورها لمعاقل الحضانة لتتنكس الراية في ميدان الأمومة، ومرحياً بالتمرد والعقوق والفسق المبكر وقرناء السوء وضياع مستقبل الأم والأمة. والاختلاط بين الفتى والفتاة صداقة بريئة وتَحَضُّر، والمدنية في التبرج، والمرأة لا تثير غريزة الرجل تلك الكاسية العارية، وإذا شفتنا التقدّم كالغرب فحضارته بخيرها وشرها دستورنا.

اسألوا ديار المدنية الغربية عن حفلات الرقص مع النساء ومحاصرتهن، العين في العين والوجه في الوجه والصدر في الصدر، والشفاة أمام الشفاة والعيان واليدان، فهل الكاسية العارية لا تثير غريزة الرجل وتحرك كوامنه؟ وهل الاعتياد على قضاء الشهوة أصبح من الفضائل، كم ينال الرجال الأجانب شهواتهم من الأخريات والتي تبدأ باللمس والهمس وتنتهي بالإجهاض وأولاد الحرام.

والديموقراطية الغربية عندهم هي أمثل نظم الحكم، أما النظام الإسلامي فهو لا يليق بالعصر، فشرعية قطع يد السارق ظالمة، والعقوبات الشرعية وحشية وتتنافى مع الإنسانية، أما إبادة الملايين بمبيدات الأمم فنعماً هي، والعريضة والخنا عمل لا ضير فيه فهو أجمل الحريات، بينما العفاف والطهر قيم بالية!!.

والعقلانية كذلك تعبير غربى يقصد به تنحية الدين جانباً، وهو تعبير كذاب أخاذ، فأى عقل نتبعه عقل الرجل أم عقل المرأة، عقل الشاب أم الشيخ المؤمن أم المسيء، عقل الفيلسوف أم الأحمق، عقل العالم أم الجاهل، العازب أم المتزوج، الصغير أم الكبير، عقل الأب أو الابن؟.

والماركسية التى تعتمد على عبادة المادة وهدم الدين بالكلية تغرى بنينا بالفساد قائلة: أن الدين أفيون الشعوب، مخدر لها، يحجب عنها همومها، فهل الإسلام مخدر لشعوبه، حتى نأخذ من الحضارة الغربية خيرها وشرها فدعواهم تلك داحضة، فالتقدم العلمى لا يشجع على السلوكيات الهابطة التى تعيش بسببها الحضارة الغربية فى مأزق حقيقى أقله الضياع الدينى وهضم حقوق الإنسان. إن التقدم العلمى ليس من لوازمه السلوكيات المرذولة، فاليابان اليوم فى أوج مجدها ولم تبدل سلوكيات أهلها، والتقدم التكنولوجى فى الغرب لم يأت غداة أن كشفت المرأة عن ساقها، ولو أن النساء صرن كلهن كاسيات عاريات فهل يكون قد أذن مؤذن بدخول دولة فى باحة المجد وساحة الحضارة؟!.

### المتبجحون بعداوتهم للزى الإسلامى (١):

من حق كل إنسان الظهور بهويته القومية والدينية وليس هناك سند أو مبرر لأن يفرض الآخرون على الآخرين زياً يتشابهون فيه، وليس من حق أى حضارة أو مدنية بعينها أن تتنازع الناس حرية اختيار ما يشاعون. إلى هذا التحدى صار الاحتشام مؤذياً أو مقرزاً للآخرين،

(١) الأهرام فى يوم ٢٠٠٣/٣/٧م.

لماذا تتمتع نساء الثقافات المختلفة بهذا الحق في حين تنكره على المرأة المسلمة، اليس الزى حق من حقوق الإنسان لا يمارى فيه إلا مكابر، لماذا لم ينكر أهل الشرق على الراهبة زيها، لا بل هم يمعنون فى إجلالها وتبجلها بسبب زيها المحتشم المتألق، بل إن الإنجيل يقول "ولما رأت ملاك الرب أرخت حجابها" نعم لكل مجتمع أعرافه النابعة من ثقافته، ونستطيع أن نميز بين الشعوب بمجرد النظر إلى الزى سيما زى المرأة، والمرأة المسلمة أولى بهذا، ولكنه أكبر فى صدورهم، إن ما يحدث من عدوان وعداء متكرر ومتجذر للزى الإسلامى فى بلاد المسلمين هو نقيصة خلقية ولم تقل به شريعة أرضية أو سماوية.

### ونفر من جهابذة القانون أسارى فى شباك الغرب

رجال القانون على اختلاف مواقعهم أستاذة فضلاء ونابيهون أجلاء، بيدهم مقاليد الأمور فى أوطانهم وهم غالباً ما يجمعون بين سلطة التقرير والتقنين، منهم من أدركته الصحوة الإسلامية فأضحى معتزلاً بحياتته فى مؤلفاته، ومنهم دون ذلك ممن استخوذ الانبهار على عقولهم، فأمسى مفتوناً بالثقافة الغربية فى مجال القوانين الجنائية مع أن جذورها ضاربة فى تربة لا دينية، شريعتنا غذب فرات سائغ شرابه، وهى أنكى وأنقى -

إن أهل الثقافة القانونية الراقية يعلمون علم اليقين أن الشريعة الإسلامية ما عاشت تحت ظلها مغبون، وأن القوانين الغربية انكشفت عوراتها فى مجال الأخلاقيات والسلوكيات، وعطلت عندنا نصوصاً من قوانين السماء وستظل غريبة على أحاسيسنا مهما طال عليها الأمد،

فهى كالجسم الغريب الذى ينتظر الاستئصال، إن الوهج الذى أعمى كثيراً من العيون أيام سطوة الاستعمار لم يعد يحجب اليوم سلبيات الحضارة الغازية والتي بدأت تظهر حتى فى عقر دارها، وباتت تعاني منها شعوبها، لاجترائهم على القيم وأرتكابهم لما نهوا عنه، فتدهورت أخلاق النساء والولدان وحلت الشذوذات المسلكية التى تقود إلى إفناء البشرية، وهو ما جعل كثيراً من عقلائهم يتلاومون، ويبحثون عن شرع جديد يخلصهم من الموبقات التى اقترنت بالمعجزات.

لقد حققت اليابان تقدماً مذهلاً وهائلاً رغم تمسك أهلها بدين خرافى وأعرضت عن اقتباس تشريعات الغرب بعدما أذاقها لباس الجوع والخوف فى الحرب العالمية.

إن التقدم ليس من لوازمه الاستيراد القانونى، فما بالنا إذا كانت سلوكياتنا قد مكنت لنا فى الأرض قروناً طويلة، وأقامت حضارة باسقة لها طلع نضيد، وخلفت لنا وللعالم أعظم تراث إنسانى وحضارة تؤتى أكلها كل حين.

فتشريعاتنا بحورها زاخرة جمعت فأوعت، فيها الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لعللنا، وهى براء من النقائص الإنسانية التى تحتويها التشريعات الوضعية التى هى من صنع البشر.

إن القوانين الوضعية المستوردة على قلتها قد أظهرت إفلاسها فى مجالات الرشد الأخلاقى، فكثرت العتاة وغلظ المجرمون وظهر الفساد فى الير والبحر، ولو أن أستاذاً فى القانون الجنائى سطا عليه لص ملثم فاجر وغادر فجرده من ماله وثيابه وجميع أهله وأذاقهم لباس الخوف والإرهاب فإنه لن يطالب بتطبيق العقوبة المستوردة من بلاد الأجانب

وإنما سيجار قائلاً خذوه فغلوه، بل اقتلوه، ولو أن ذنباً بشرياً هتك عرض عزيزة لدية أو كريمته فلن يرضى إلا بضرب الرقاب، ولن يتمسك بعصم الكوافر، بالقوانين التي يكون قد وضعها، وصدق العزيز الحكيم: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

إنه لا تثريب علينا من اقتباس أى قانون أجنبى طالما لا يصادم نصاً مكتوباً أو حداً محدوداً أو يخالف روح الشريعة الغراء بجلاء.

إن مرضى الأسر الثقافى فى مجال قانون الجزاء يخيل إليهم أن التشريع الغربى قد وصل إلى منتهاه بتقعيد القواعد وتفريغ الفروع إلى درجة لم يصل إليها التشريع الإسلامى، وهم معذرون فى هذا الوهم لأن أمامهم تشريع يحيه التطبيق المتجدد وتصله بواقع مجتمعهم عوامل شتى، أما التشريع الإسلامى فهو كنوز ثمينة مدفونة تحت الثرى وهى أنفس من المعدن النفيس.

والحقيقة أن الفقه الإسلامى بلغ فى العصور الأولى شأوه ومجده ويضارع ما بلغه التشريع الحديث فى ازهى مواطنه اليوم لا بل يتفوق عليه؛ فهو يقوم على أصول من وحى السماء فينطلق فى مجراه الممهّد لحلول مشاكل البشرية، ولذلك فهو يصلح للتطبيق فى كل عصر ومصر

إن الدارسين فى الشرق والغرب يبحثون فى عالم الشرائع اليوم عن مخرج لعظلمهم، بعد إفلاس شرائعهم، وشريعتنا فيها رحمة للعالمين لو عرضناها على يد علماء كرام برره كما ينبغى لجلالها.

إلى متى يتحمل واقعنا المريض كيد الأعداء وعجز الأبناء، نحن لسنا بصدد مقاولات وإنما سلوكيات وأحاسيس. ذروا ما بقى من الاقتباس غير الممدوح، تلك الفئة القليلة من التشريعات الوافدة التى تتصل بمكارم الأخلاق، وما كان ينبغى أن تبقى أكثر مما بقيت، ويومئذ يفرح المؤمنون .

إن بلداً كإنجلترا ترفض بإباء أن تُحكَم بشريعة المسلمين، فهل يظل المسلمون محكومون بشريعتهم وقد رحلوا عنا، كم هو أضحك وأبكى، فلمْ نأتى بضرائر للحسنة ؟ .

إن المتعصبين للقوانين الوضعية ما نحسب عامتهم على دين كما يقول الشيخ محمد الغزالي فى كتابه "الحق المر"، والمرء أحياناً قد يتعصب لخير موهوم وهو شر مستطير، جربوا شرائع الحدود والقصاص عاماً أو بعض عام تعيشوا فى ظلال الأمان عاماً بعد عام.

هل هناك من أساتذة القانون الجنائى فى كليات الحقوق فى البلاد العربية من يعرف قبساً من التشريع الجنائى الإسلامى، من منهم يعرف القسامة أو الإرش وأحكام الديات؟ وهل هناك تبعاً لذلك من قاض فى بلادنا العربية سوى السعودية واليمن يعرف تلك الأحكام وإن كان قليلاً ما هم، إلى هذا الحد هم قابعون فى سرداق الأسر الثقافى للتقافة القانونية الغربية.

#### رابعاً: عصر شبه الأسرة

##### أ- أطفالنا والعنف الطارق :

الخطر السام يطرق معاهد التعليم، فيحول البراءة فى الأطفال إلى غير ما أهلوا له، أحداث فى المجتمع الغربى فى فرنسا وفى

أمريكا فى أعنف سلوك إجرامى اتسمت به أخلاقيات أطفال العصر، الذين وجدوا قوتهم فى أبطال العنف الهوليودية وعصابات المافيا والألعاب التى تهين الصغير كى تكون دميته سلاحاً نارياً، فى عصر تراجعت فيه القيم الدينية وتصدرت الحرية وانكسار الروابط الأسرية، حوادث بالجملة منها مقتل وحيد مطعوناً حتى الموت بين أصدقائه لخلاف بسيط لا يستدعى أسلحة يحملها المراهقون، وتكون ضحيتها أعز صديق لديهم، وفى تكساس مثلاً مقتل أب برصاص ابنه وعمره (١١) سنة بعد أن علمه أبوه الرماية كل يوم، فإذا به ينفذ ما تعلمه ضد أبيه، وصدق عليهم إبليس ظنه وذلك جزاء سنمار.

فى بلاد العرب شر قد اقترب، مدارس المشاغبين والتسيب التربوى، أحداث جسام، وتقليد منموم، والبلطجة بين التلاميذ، واستعراض القوة. يعيشون عصر قنوات الفضائيات التى تبث العنف والجريمة فأصبح لهم سمة سلوكية، وينتهى الأمر بكارثة اجتماعية فالعنف يولد العنف.

#### ب- إغراء العداوة بين الزوجين :

لقد أوضحت الدراسات النفسية أن الأزمات العائلية فى أمريكا فى تكاثر فى مجتمع اجتمعت فيه المعجزات مع الموبقات، لتخلى المرأة عن بيتها ومغادرتها لمملكتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل حقاً ولكن تندى الأهل، وقد أثبتت الأبحاث أنه لا مناص من عودة المرأة إلى عرشها لإنقاذ الأجيال من الضياع، كما هو شأن الإسلام، فالإسلام ذو فضيل على المرأة ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وتعاني الأسرة المسكينة هناك من الإحساس بالفتور والمعاناة النفسية الناجمة من التفسخ الاجتماعي، بسبب تغليب المادة على المودة، ومن ثم كان نضوب العاطفة داخل البيت الغربي، سيما وأن العلاقة الجنسية تبدأ بين الفتى والفتاة في سن مبكرة، ثم يتلوها الزواج إن استمرت تلك العلاقة المؤثمة.

والمرأة عندنا بدورها خفت موازينها نتيجة ثقافة تحريض المرأة، فأغلب الأسر المفتونة بالتقاليد الغربية تعيش بدورها عصر شبه الأسرة، وأول المكتوبين بالنار هم "أطفال المفاتيح" وكم من زوجة بطرت معيشتها وخيرت بين زوجها وعملها فاخترت الخيار الأخير، منبهرة بالمساواة الواهمة، متناسية أن الأسرة هي ينبوع الذي يمد الأمة بالقوة والفرد بالسعادة، وكل أولئك مرهون بالتكامل المنشود بين الرجل والمرأة فعلاقة الذكر بالأنثى داخل الأسرة هي تكاملية يكمل بعضهم بعضاً وليست مساواة تجر إلى النقاش والصراع.

لقد جنى مبدأ المساواة على المرأة فأتى بنيانها من القواعد، وأخرج النساء بالملايين من بيوتهن إلى الدواوين يصادمن المتاعب كل يوم في وسائل الانتقال أو داخل الأعمال.

إن الإسلام هو دين الرشد الأخلاقي، جعل الأسرة في أحسن تقويم، لا يقاس نجاحها بمدى ما غنم أو غرم كل شريك، وإنما هي رباط مقدس تغشاه رحمة الرحمن ومودة الإنسان. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[الروم: ٢١]

## ج- تصدع السلطة وبداية المخاوف

ولقد تساعل الباحثون (فى المركز الفرنسى لأبحاث السكان والتنمية) أين ذهب رجالنا؟ ونحن من جانبنا نتساعل هل يوجد رئيسان لدولة واحدة، فمجتمع الأمموة عندهم صار هو المهيم، حتى إنه يمكن نسب الطفل لأمه دون أبيه سيما حين يتفشى اتخاذ الأخذان - وهى المعاشرة الجنسية بلا زواج - والأسرة التى تشهد تحولاً ويتم فيه تنحية الرجل، يجرها إلى مجتمع مائع الملامح، إلى البربرية الأولى التى كان الرجل فيها يخفى بحثاً عن الرزق، واليوم فالتفكك الأسرى والحرية المفرطة والفوضى الجنسية والخيانات الزوجية تدفع بالرجل إلى الفكك من أسرته<sup>(١)</sup>.

انهيارات جليدية تتوالى تنذر بالذوبان، فتمرد الأبناء والعقوق من ناحية وتحريض الزوجة على زوجها من ناحية أخرى، تيارات زاحفة وعاصفة.

وكان لابد أن يتسرب الغاز الخانق إلى عوالمنا بفعل أدياء التحضر والرقى، فالمفترجات صرن يأتين بتصرفات مردولة تقض مضجع الرجل وتهزأ بمسئوليته عن رعيته، يحدوها الأمل فى أن تحقق ذاتها، وهو هراء تصغى إليه أفئدة المثقفات ولكن لا تفقهه.

والعواقب الوخيمة تترى، فأبناء الغد المأمول يفقدون مبكراً حظهم من الرشد الأبوى، ولا ينالهم سوى التقاخر العائلى، وهو ما يرشحهم للضياع الدينى والاجتماعى .

(١) المسلمون العدد ٦١٦ فى ١١ رجب ١٤١٧هـ، ٢٢/١١/١٩٩٦م.

والقوامة ليست عقدة أو ثغرة في قطار الحياة الزوجية، ولكن العقبة هي في زعامة المرأة والرجل معاً، أو في رجل يتاجر بالقوامة ويختال بها، والدين من ذلك براء، ولو كانت العصمة في يد المرأة وآلت عقدة النكاح إليها، لما وجدت امرأة متزوجة على وجه الأرض، ومع ذلك تزداد حالات العصمة بيد المرأة يوماً بعد يوم، بحيث يصير الزوج أشبه بسوار في معصمها، ويتحول الأزواج إلى أشباه الرجال، وتتحول المسلمة إلى ند للزوج متكبرة متجبرة، إن شاءت نقضت غزلها بجهالة ثم تُسر الندامة في عمرها الباقي .

نعوذ بالله من سوء المنقلب ومن كل داعية لرؤى الغرب، فالغرب لا زال يحسنا على الترايط الأسرى المعهود والمشهود. إن من الحقائق المهمة أن كثيراً من أنصاف المتعلمات أقدر من حملة الشهادات على إنجاح الحياة الزوجية، سيما إذا كن أثرياء في الثقافة الإسلامية، وجيل النوابغ الذي ظهر في العشرينات أغلبهن من أمهات أميات لم يذهبن إلى الدواوين.

#### د- التمرد والندية :

قبس من الثقافة الغربية تنال من السلطة الأبوية حين يصل الولدان سن البلوغ فتجس منهم الخوف، أو انهيار النفس والأدب في تبجيل الوالدين.

إن الأسرة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، تألف يحكمه وثاق غليظ ووثيقة حارة، الآباء مخلصون لبنينهم رحماء بهم، والأبناء طيعون لهم كراماً بررة بهم، الجميع في مملكة تلفت الأنظار والأبصار،

ولكن أهل التنوير يودون لاتباع محمد رسول الله ﷺ أن يتحولوا إلى أخلاق الثعالب أو طبع الذئاب، ليكونوا في زعمهم تقدميين وعصريين يضيق صدورهم بتماسك الأسرة المسلمة، يبثون سمومهم التي تحرض الأبناء على العقوق والندية للوالدين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. نعم إن الديمقراطية داخل الأسرة مبدأ هام ولكن تجريح الآباء مبدأ هدام، مرحباً بكل نافع مفيد أو اقتراح جديد يقدمه الفتى أو الفتاة لذويهم ولكن إذا قضى الأبوان أمراً فالإيه المصير، فليدهما الخبرة في الحياة ومن العلم ما لم يصل إليه الأبناء.

وباختصار فإن أدب الحوار الراقى له جزء مقسوم في بيتنا يشرف ديننا، ولا مرحباً بقيم الذئاب بين أبناء الأسرة، وإن الالتزام بالأدب عند من وجب الشكر له يتيح مناخاً ملائماً لحياة طيبة هائلة بعيداً عن خسيس السلوك.

### خامساً : التقدم الاستهلاكي والتطور الساذج :

من الثوابت في كل عصر أن يحوز القلم والعلم يحوز القوة والمتعة، ولكن عالمنا الإسلامي اليوم فرح فخور بكل ما أنتجته التكنولوجيا الغربية، والتي صارت في متناول يده، فخيّل إليه أنه يعيش عصره بينما هو يتيه في التيه، وتحت شعار خادع مموه هو التطور، وهو مجرد تقدم استهلاكي في المقتنيات، أو قل تطور ساذج سيما في بلاد الاقتصاد الفقير الذي يأتيه الموج من كل مكان، يهدد بخطر الابتلاع والاقتلاع.

وقد غرقت أجيالنا فى مستنقعات التقليد فى غيبة المنهج الإسلامى الرشيد، يا ليتهم رمقوا روافد النهضة ولكنهم مكبّنين على وجوههم فى حيازة (كاسيات) عمالقة الغناء، وشغلنا أنفسنا وأموانا فى البحث عن مبتكرات الأناقة وتسريحة الشعر والتليفون المحمول الذى لا يبدى ولا يعيد بالنسبة لأهل الفاقة والفقر، ولم يقدم خدمة جلية للاقتصاد العربى، سوى نمط جديد فى التتقم الاستهلاكى وانتشار الثرثرة من جانب المترفين، وهو خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف.

وقد ظهرت بين شبابنا حديثاً ثقافة المرسيديس، وهى ثقافة ذات أصداء واسعة فى عقولهم فى أنواع السيارات وأشكالها وألوانها، وكل دقيق عنها وفى بعض الأحيان يكون هؤلاء بين طبقات كاحنة فزادت لديهم حمم القلق والأرق.

وهاهم الأغنياء والمترفون الجدد ينفقون الملايين تلو الملايين على أكل القطط والكلاب المستورد، وبينما علماء الدين والاجتماع يحذرون من تزايد العداة الطبقي (١).

والهدف الأسمى للتغريب هو نساء المؤمنين لجرهم إلى التقليد وإلى المحاكاة، حتى فتيات الخليج العربى كما أسلفنا، وتبديد أمواننا شغل شاغل لنسائنا، فتقاليع الموضة المتبرجة تحوز مساحة كبيرة من دخلنا ومع أن كل شئ يتغير من عام إلى عام، والمرأة تلهث بين المحلات والرجل يدفع، والمشاكل تتفاقم وتتراكم، والدواليب تبئن من كثرة ما حوت. ويلحق بذلك أنشطة كثيفة تود زرع الخنا فى المجتمع العريق، ببريق جذاب يستهوى الغرار الأغرار.

(١) جريدة للحقيقة العدد ٧١١ فى ٢٠٠٢/٧/٦م

وقد يسأل سائل لماذا لا نأتى بالجديد، وجوابنا أن الجديد هو المفيد، والعصرية ليس معناها إلغاء الأصالة، والمرأة فى حياتها رحلة طويلة لا تنتهى عند اللباس والزينة، وإنما القيم النبيلة، والتجديد البناء الذى يُخرج شعباً طيب الأعراق، يمثلون على مسرح الحياة دورهم. الحذر كل الحذر أن يلجئنا التقدم الاستهلاكى الساذج إلى السؤال، أو أن نجلس على مائدة اللثام كالأيتام، وحينئذ فلا ندرى ما يُفعل بنا يومئذ.

لقد كنا فى النصف الأول من القرن العشرين فقراء ولكن سعداء، فهل يكون واقعنا اليوم هو الانطلاق لتحقيق الشهوات الاستهلاكية والعودة مع القاعدين عن الدخول فى سباق أو صراع الحضارات (١).

## سادساً : أضرار صحية تصيب المقلدين:

### ١- طاعون الغرب يطرق الأبواب :

ليس من قبيل السماتة أنه يولد كل يوم فى فرنسا مائتا طفل مصابون بالإيدز، وحينئذ يصبح الولدان شيباً أو يكون وليداً وقد شاب شعره، فما أغنى عنهم جمعهم ولا شفع لهم التقدم العلمى، وإن تعجب فعجب أن تعلم أنه إلى عهد ليس ببعيد كان الشذوذ الجنسى يصنف فى سجل الآفات والسلبيات، ولكن اليوم له منظمات وجمعيات تطالب بتقنينه وإتيان الفاحشة، ويقال إنها بدأت تعرف طريقها إلى المجتمعات الإسلامية المحوطة بحزام الفقر حيث يستدرج الصبية الساذج إلى

(١) د. محمد السيد سعيد، الأهرام فى ٢٤/١٢/٢٠٠١م.

حفلات شاذة تغرى الصغار بالانحراف الجنسي، كما أن اعتياد الشباب مشاهدة التعرى والأفلام الإباحية الفاضحة المنقولة إلينا عبر الشاشات الفضائية يصيبهم بأمراض شتى، وأخطرها ما يصيب غدة البروستاتا في وقت مبكر وهو ما يؤثر بعد على الطاقة الجنسية بعد الزواج، وحقاً كما يقول القرآن الكريم ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠] (١).

فكيف نوقف زحف المتسلل الذي يريد أن يتسور حصوننا والطفرة التي شهدتها العالم في مجال الاتصالات سهلت من عملية الإطلاع على ما يحدث في النصف الأكثر تقدماً من العالم، خاصة في مسائل التعامل مع الحياة، فالمرأة الغربية كما يصورها إعلامها تتقن في إرضاء الرجل فتقدم كل شيء دون أن يطلب، وضربوا لذلك مثلاً بالأفلام الإباحية والتي تعارض القوانين السماوية والتي تؤثر فيما بعد على الصحة العامة، والتي لا ينكر أحد أن هناك تهافت بسبب عقدة الخواجة في تلك الأمور مع أن آداب المباشرة والمعاشرة الزوجية مبسطة عندنا في كتب الثقافة الإسلامية بما يضمن للزوجين السعادة التي لا يفوقها سعادة، وما يتلوها من الهناء العائلي .

## ٢- أمراض بسبب ارتداء المايوهات :

هذا ما توصل إليه فريق من العلماء البريطانيين في أن ارتداء الملابس القصيرة كالمايوهات في المصايف تزيد من احتمال تعرضهن

(١) جريدة النبا العدد ٧١٩ في ٢٠٠٣/٦/١٥ م.

لخطر الإصابة بأخطر أنواع السرطانات والذي يعرف باسم (الميلانوما)، إلى جانب الاكزيما والارتيكاريا الشمسية فضلاً عن ظهور البقع البنية والنمش والشيخوخة المبكرة، والميلانوما التي تجلب الأورام الخبيثة بالأرجل ثم في كل أجزاء الجسم<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور عزيز أحمد خطاب إنه نتيجة للموضة الغربية والهوس الذي يجتاح عالمنا العربي بدأت السيدات في ارتداء الجينز والضيق والاستريتش المطاط وكذلك الملابس الحريرية الضيقة، وكل هذه الملابس تعرض السيدات لمخاطر عديدة في مقمتهما العقم وذلك لأنها تحتك بصفة مستمرة بالأعضاء التناسلية الخارجية وهذا الاحتكاك تتولد عنه حرارة تؤدي إلى حدوث التهابات شديدة في هذه المناطق المهبليّة الضارة وتكون مرتعاً خصباً للفطريات والبكتريا الضارة، ولذلك ينصح المتخصصون بعدم استخدام ملابس داخلية مصنعة من الألياف الصناعية والابتعاد عن الحرير بصفة عامة<sup>(٢)</sup>.

### ٣- شقاء المراهقين بإثارة موضوعات الجنس :

اهتم العلمانيون بالجنس باعتباره من الأسلحة الفتاكة في محاربة الأديان، الإسلام أو المسيحية، حتى أصبح ثقافة عندهم، فأغرقت الأسواق بالكتب والمجلات المنتجة، وبالصور الفاضحة وذاعت وشاعت الأفلام الجنسية لتصبح لملا يترقبه الشباب، وهناك في أوروبا محلات للجنس تستطيع أن ترى فيها جهرة ولقاء دراهم معدودة من أنواع الخنا والفحشاء مما لا يمكن وصفه.

(١) جريدة النبا في ٢٩/٦/٢٠٠٣

(٢) د. عزيز خطاب، للنبا في ٢٣/٥/٢٠٠٤م.

كل هذا يطرح فى الأسواق ليغترف الشباب من الثقافة الجنسية وليظهر على مسرح الجناة بعد ذلك لا يعرف، حللاً أو حراماً، فى حين أنهم فى قائمة المجنى عليهم، وأخيراً جاءت بعض القنوات الفضائية لتغطى سطح الكرة الأرضية بأحسن ثقافة تعرفها البشرية فبم إن تبشرون وما هو مصير المراهقين ؟ وما هو شأن الجاهل بها الذى لم يغترف منها هل أصيب بالعجز كما أصيب المعاصرون الذين راحوا يتابعون الخطى لهناً وراء الفياجرا، وما هو شأن الحيوانات التى لم تغترف من تلك الثقافة الرفيعة ومع ذلك تتكاثر وتتوالد .

وما هو شأن الذين توفوا دون أن يدرسوا تلك الثقافة الوافدة، المبهرة؟، ومع ذلك سعدوا فى حياتهم وأنجبوا نرية طيبة وصاروا بعد ذلك نوابغ النوابغ.

إن الشباب يعلمون علم اليقين، ما يلحق بهم من أذى من جراء تكرار موضوعات الجنس، لأنها تهدف إلى عنت المراهقين مما يضعف حتى البدن ويضئهم يوماً فيوم.

#### ٤ - الوجبات السريعة وأمراض العصر :

ازدراء الطعام له أصول وفنون بل ومدارس ومعاهد والإفان العاقبة تكون خسراً وهذا تقرير من صحيفة الأوبزرفر البريطانية أن مفهوم بناء الجسم السليم قد بدأ يتوارى أو يحتضر بعد أن اجتاحت الوجبات السريعة كل الأسواق، وأصبح يتهاقت عليها الأطفال والشباب سيما مع وسائل الإعلام الجذابة والأخاذة، وخاصة حين يعلن عنها مشاهير الممثلين ولاعبو الكرة البارزين، لتحمل فى طياتها أبلغ

الأضرار لما تحتوى عليه من نسب عالية من السكريات والأملاح والدهون والتي تجلب أمراضاً شتى، وفي مقدمتها البدانة والتي تسبب العديد من الوفيات مع تناسى الأطعمة المميزة كالخضروات والفواكه ناهيك عن العجز والكسل في ممارسة الألعاب الرياضية. وهذا نذير إلى عشرتنا الأقربين<sup>(١)</sup>.

### سابعاً: الأقليات والضياع الديني (الاضمحلال أو الذوبان) :

أبناؤنا في الخارج يكدون ويلدحون من أجل عيش شريف افتقدوه في بلادهم مع ما وهبها الله من خيرات حسان يواجهون أو يواجههم إعصار مدمر، وهنا يكمن عضال الداء وموطن الابتلاء حيث يرى المسلم نفسه حائراً بين مبادئ الدين وواقع غير المسلمين، والذي يتجسد من سلوك مخالف لما أوتى النبيون من ربهم فهل يمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟

هل يتجرع هزيمة سلوكية ومسخ للهوية واقتلاع من الجذور سيما حين تصادق الفتاه أو يصادق الفتى وتتعمق الصلات في الرقص والحفلات، فالنظام الاجتماعي هناك مفصول عن الدين لأنه نتاج ثقافة إنسانية ماعت فيها الحواجز بين الحلال والحرام وصار الشرف فيها بضاعة مزجاء، وحينئذ تكون سلوكيات الأجانب أشد وطأ على النفس المسلمة، سيما حين يذهب المسلم دون حصانة فكرية فيقع فريسة للتقاليد الأجنبية والأمية الدينية ويصل السكين إلى العظم حين تقبل فتاتنا على الزولج من مشرك أعجبها، وينتج عن كل أولئك أجيال لا تعرف كيفية

(١) الأهرام في ٢٠٠٣/٢/٢

التعايش مع الآخر ولا تفرق بين الخبيث والطيب، ناهيك عن مشاكل المراهقين ويتحول التأقلم مع الغرب إلى سراب خادع وقد يكون مصير الرجل الصالح هو الإيداع في السجن لأنه مارق عن نظام الغرب، إذا اشتكت كريمته التي تغادر مسكنها لتتخرط في ثلة المراهقين الذين مردو على الفسق المبكر، وحينئذ قد يصاب بالأمراض النفسية بسبب تجرع واقع مرير غريب على الحس الإسلامى الرقيق .

## الفرع الرابع جزاء التقليد المزدول ( الإثم ومعصية الرسول ﷺ )

أولاً: الحلال والحرام من تقاليد الأجاتب:

يقول القرآن الكريم: ﴿وَتَكْتُبُ مَا قَنَّمُوا وَآتَاهُمْ﴾ [يس: ١٢] كما يقول تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْضَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، فكل صغير وكبير مستطر من الخبيث والطيب، وإذا جننا لتقليد الغرب فالتقليد في محاسنهم هو شأن ديننا لأنها أصلاً بضاعتنا .

فإذا كان تقليد الأجاتب في النفس فهو مباح بإطلاق، بل أحياناً يكون واجباً أو مندوباً، ومن ذلك المحاسن التي أسلفنا فيها القول كعدل الحكام وعلم العلماء، والإقبال على القراءة والاعتزاز بالقومية، وقد صاروا في عصرنا مضرب الأمثال في الشورى واحترام الآخر والرأى الآخر والدقة والإتقان وصدق الوعد والوفاء بالعهد .

أما كل سلوك مزدول يتجلى فيه التباقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين فإنه يوقع صاحبه في الحرام فعليه وزره بل وزر من عمل به، وهنا يقول القرآن الكريم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] مثل كشف العورات وإندثار الكمالات واستيراد لغات مع لغتنا حسناء الحسنאות.

فالحكم الشرعى بالنسبة للتقليد فى المساوى يتردد بين الحرام والمكروه وخلاف الأولى على حسب ما هو مقرر فى أصول الفقه،

والرؤوس التى تتهاقت الاتباع حولهم والأذنان كلهم فى قارب واحد أو سلة واحدة، ﴿وققوهم اتهم مسنولون﴾ [الصافات: ٢٤]، والشاب العربى الذى انطلت عليه الملامح الأوروبية أليس فى ذلك إثم كبير ومعصية للرسول (ﷺ)، وكذلك الفتاة العربية التى يحسبها الجاهل أوروبية، لقد حذر البشير النذير من التقليد وسماه "اتباع السنن" فى الحديث المشهور الذى يقول فيه عليه الصلاة والسلام : لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟<sup>(١)</sup> وفى رواية : قال رسول الله ﷺ : ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلكم أهل الكتاب خدو القذة بالقذة"<sup>(٢)</sup> وفى رواية أخرى زيد فيها "وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته فى الطريق لفعلموه"<sup>(٣)</sup>.

أفرايت أدق من هذا الوصف المعجز لهذا الذى أخبر عنه رسول الله ﷺ ؟ وماذا وراء جحر الضب ؟ ! إنه تعبير غاية فى الدقة، ومثل غاية فى الدلالة على المقصود من السير على الخطى نفسها ومواضع الأقدام ذاتها ( شبرا بشبر وذراعاً بذراع) لقد كان ما أخبر عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام غيباً فأصبح اليوم واقعاً ملموساً.

### ثانياً: فتاوى إسلامية بشأن التقليد

سبق لنا فى الفصل الأول أن أوضحنا حكم الشرع الإسلامى فى

بعض مظاهر التقليد.

(١) رواه البخارى كتاب الاعتصام، حديث رقم ٧٢٢٠ .

(٢) رواه أحمد فى مسنده برقم ١٧٥٩٩

(٣) حديث صحيح رواه الحاكم واللبزاز (صحيح الجامع / ٥٠٦٧).

ولقد سئل أهل بعض الذكر عن حكم حفلات الزفاف اليوم فأجاب بأن يوم الزفاف يوم من أيام الله المباركة فلتلزم فيه بالآداب الإسلامية ولا ترتكب فيه محرماً، فلا يجوز شرعاً فيه كشف العورات أو الاختلاط المرذول أو الرقص الفاضح والغناء الماجن<sup>(١)</sup>.

والمرأة التي تصفف شعر الرجال تقلد يحرمه الإسلام وإذا كانت النظرة محرمة فكيف بالمرأة التي تتحسس أجساد الرجال . وهناك من الملعونين ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء" أى المتشبهات بالرجال<sup>(٢)</sup> وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء<sup>(٣)</sup>.

#### البنطلون الضيق :

هل لبس البنطلون الضيق للمرأة يوافق الشرع أم لا ؟، وهل تعرية الشعر والزراعيين والرجلين أسفل الركبة جائز أم لا ؟  
الإجابة: لبس المرأة للبنطلون الضيق المفصل لجسمها حرام شرعاً كما أن تعرية شعر المرأة وساقها حرام شرعاً . وبالنسبة لحدود الزي الشرعى فهو كل ما يستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين شريطة أن يكون واسعاً محتشماً فضفاضاً لا يشف ولا يصف بدنها .

(١) انظر ملحق الأهرام فى ٢٠٠٠/٩/٨ اسألو الفقيه.

(٢) حديث صحيح أخرجه النسائى برقم ٦٥٦٢ وأحمد ج/٢٠/٣٤ وانظر فقه السنه للشيخ/ سيد سابق.

(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد.

وبالنسبة لعقوبة التبرج والسفور في الآخرة فهي عقوبة شديدة وهي من الكبائر شرعاً، وبالنسبة لمن يشترط خلع المرأة لحجابها في العمل والدراسة فإنهم أئمين شرعاً ولا يجوز للمرأة أن تفعل ذلك، قال ﷺ: " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (١).

### حلاق السيدات

تسأل القارئة من القاهرة قائلة: ما حكم الدين في تصفيف الرجل لشعر امرأة أجنبية؟

يجيب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فيقول إن الله تعالى يقول " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظون فروجهم ذلك أزكى لهم. إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن"، هذا أمر من الله تعالى للرجال والنساء على السواء بأن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظرون إلا إلى ما أباح الله لهم النظر إليه لأن النظرة داعية إلى فساد القلب وذريعة للوقوع في المحرمات .

وقد روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه".

(١) الأهرام فى ٢٠٠٣/٥/١٥ والفتوى صدرت فى ٢٨ رجب ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٠٠١/١٠/١٥م.

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : "أن كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى، والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه".

وقد أوضحت الآية الأخيرة أنه يجب على المرأة أن تستر جسدها من قمة رأسها إلى القدمين فقط بياح لها كشف وجهها وكفيها حسبما جاء فى حديث السيدة أسماء بنت أبى بكر عن خالد بن دريك عن عائشة "أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها وقال 'يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه' رواه أبوداود.

ولما كانت هذه النصوص من القرآن والسنة قد أوجبت على المرأة ستر جسدها من قمة رأسها إلى قدميها وحرمت النظر إليها من غير زوجها ومحارمها الذين بينهم الله فى هذه الآية الأخيرة كان مس شئ من جسدها محرما لأنه أكثر إثارة للغرائز من النظر، ولما كان الرجل الذى يقوم بتصفيف الشعر لغير زوجة له أو لغير محرم منه إنما يمس جزءاً من جسدها وجب ستره، وحرم الله النظر إليه وبالتالي حرّم مسه، وكان هذا العمل محرماً على الرجال وكل عمل محرّم يكون كسبه محرماً، مع أن تحرى الكسب الحلال من الواجبات التى أمر الله سبحانه وتعالى بها فى القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله ﷺ، قال تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

## وبالنسبة للحفاوة بالكلاب على النمط الغربي :

سأل سائل عن حكم ذلك فأجاب عن ذلك الدكتور عبد العزيز عزام الأستاذ بجامعة الأزهر، الكلب نجس يجب اجتنابه لما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال "إذا شرب الكلب فى إثناء أحدكم فليغسله سبعاً" ولأحمد ومسلم "طهور إثناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات، أو لاهن بالتراب" والكلب يحرم اقتناؤه وتربيته لأنه يحرم استعماله إلا لضرورة الصيد أو الحراسة وحيث لا ضرورة تدعو إلى اقتنائه فلا يجوز اتخاذه لنجاسته، ولما روى أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب. فإن كان لحراسة الزرع أو الماشية أو كان يستخدم للصيد فهذا الكلب مأذون فى اتخاذه من جهة الشرع، وأما غير ذلك فلا يجوز، ويدخل فى المباح اتخاذ الكلاب البوليسية المدربة بقصد استعمالها للغرض الأمنى والتعرف على المجرمين لردعهم فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : "من اتخذ كلباً إلا كلب زرع أو غنم أو صيد ينقص من أجره كل يوم قيراطاً" إذن فلا يجوز الاحتفاظ به بدون حاجة للنهى الوارد فى ذلك، وعليه فلا يجوز تدليلها والإنفاق عليها ببذخ على النمط الغربى .

## إباحة زواج الفرند

بالنظر إلى تأثير قيم وعادات المجتمعات الغربية على سلوكيات أبناء المسلمين هناك خاصة بالنسبة للعلاقات المفتوحة بين الجنسين، فقد أباح البعض زواج الأصدقاء، هذا الزواج والذى يقوم على توافر

الأركان الأساسية لعقد الزواج والشروط الشرعية كالشاهدين والمهر وصيغة العقد، وإشهاره ولكن دون اشتراط وجود منزل للزوج، فوجود منزل للزوجة ليس شرطاً مهماً للزواج، وهذه الفتوى من فوائدها أنها تحول دون علاقات الفتى والفتاة خارج عقد الزواج. (١)

### هل يجوز للمرأة المسلمة أن تعمل كوافيرة ؟

ما حكم الشرع فيما يسمى بكوافير السيدات فيما إذا كانت تقوم به سيدة ؟ ويتمثل هذا العمل بتصفيف الشعر للمحجبات وغيرهن، وأخذ شعر من الحاجبين والوجه والذقن وعمل الماكياج للعرائس وغير العرائس، وهل المكسب العائد من ذلك حلال أو حرام ؟ .

يجيب عن هذا السؤال الدكتور أحمد الطيب مفتى الجمهورية الأسبق فيقول: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فإنه يجوز للمرأة أن تعمل فيما يسمى بالكوافير وذلك بتصفيف الشعر للمحجبات، ويأخذ الشعر من الحاجبين بشرط ألا يصل إلى حد التتمص (وهو الإزالة الكاملة لشعر الحاجبين أو ترقيقهما ترقيقاً يخرجهما عن الشكل الطبيعي للحاجبين) وذلك لما روى أن رسول الله ﷺ لعن النامصة والمتمصصة. أما إزالة الشعر عن الوجه والذقن وبقية الجسد فحائز ولا شيء فيه.. ويجوز للمرأة أن تمارس مهمة تزيين الزوجة لزوجها والعرائس لأزواجهن وذلك لما رواه الطبري أن امرأة أبي اسحاق دخلت على عائشة رضي الله عنها وكانت شابة جميلة يعجبها الجمال فقالت: "المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقالت رضي الله عنها: "اميطى عنك الأذى ما استطعت" فمثل هذه الأعمال لا مانع من أن تقوم بها المرأة .. وبالنسبة

(١) - الأهرام فى ٢٠/٧/٢٠٠٣

لتصنيف شعر غير المحجبات فإنه ينبغي على المرأة المسلمة العاملة بالكوافير أن تتجنبه قدر الإمكان، فإن كانت مضطرة لذلك بحيث لا يمكنها الاعتذار عن مثل هذا العمل، فالإثم في هذه الحالة على التي تصنف شعرها وتخرج به دون حجاب، ولا إثم على التي بهذا العمل ما دامت مضطرة إليه<sup>(١)</sup>.

**فتوى : لا يجوز أن تسمى المرأة بلقب زوجها :**

سألت أخت من تونس: هل يجوز أن تسمى المرأة بلقب زوجها حيث إن هذا هو المعتاد في بلادنا؟

المرأة في الإسلام إذا بلغت زائدة لها شخصيتها المستقلة مالياً، وهى منذ ولادتها تحتفظ بنسبها إلى أبيها ولا يجوز لها بعد الزواج أن تلغى نسبها الذى ولدت به وتتسب إلى زوجها، فهذا أمر يخالف ما شرعه الله من المحافظة على الأنساب، ولذلك حرم الإسلام التبني وجعل الزواج المشروع وحده السبيل لاكتساب النسب، وصدق الله العظيم إذ يقول: **(وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً)** .

وأما ما جرى فى بعض المجتمعات الإسلامية من أن تنسب المرأة بعد زواجها إلى أسرة زوجها فهو تقليد غريب لا يقره الإسلام، وكم فى مجتمعاتنا للأسف من تقاليد وأعراف غريبة تحاول أن تبعدنا شيئاً فشيئاً عن هويتنا الإسلامية الأصيلة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون<sup>(٢)</sup>.

(١) د. أحمد الطيب، الأهرام ١٩/٥/٢٠٠٣م.

(٢) أ.د. محمد الدسوقي، الأهرام، فى ٦/٤/٢٠٠٤م.

فتوى : التقرير الطبي لا يغنى عن فترة العدة :

هل يجوز عند طلاق المرأة أو وفاة الزوج الاكتفاء بتقرير طبي يفيد بالكشف عليها أنها ليست حاملاً ويستغنى بذلك عن العدة المقررة شرعاً؟ وما الحكم في ذلك؟

يجيب عن هذا السؤال الدكتور عبد الغفار حامد هلال قائلاً:  
العدة إنما شرعت لحكم أرادها الله تعالى منها أن العدة إلى جانب استبراء الرحم فرصة في الطلاق الرجعي لعودة الوفاق بين الزوجين، وكذلك في حال الطلقة الباتنة في غير الطلاق الثلاث للزوج أن يعيدها إلى عصمته بعقد جديد فتعجل انقضاء بمجرد توقيع الكشف الطبي يحرم الزوجين من هذه الفرصة والتقرير الطبي قد يخطئ ويترتب عليه الفساد باختلاط الأنساب وغير ذلك من العواقب الوخيمة وتقدير زمن العدة شرعاً تقدير من لدن حكيم خبير ولا مجال للاجتهاد فيه، فعلماء أصول الفقه يقولون "لا اجتهاد مع النص"<sup>(١)</sup>.

التنكر لأعرافنا حرام أو مكروه :

إن التخلي عن الزي القومي هو فاتحة الكتاب في انقراض الأمم المجيدة، إذ يتلوه تنازلات تلو الأخرى تدخلهم بعد حين في عداد الأمم البائدة، إن المرأة السوية تدرك أن حرية المرأة لا بتقصير ثيابها والتخلي عن زيها واستئراجها إلى الإثم ومعصية الرسول، وإنما في تفكيرها وكمال عقلها، فالحرية بلا حدود منافية لطبيعة المرأة ويقولون بحق إن المرأة إذا كانت تطالب بحريتها فهي تكرهها.

(١) عبد الغفار هلال، الأهرام في ٤/٤/٢٠٠٤ م.

إن التكرار لأعراف ديننا هدم للشريعة والأخلاق الإسلامية وهو عين الانسلاخ من الدين وحينئذ يكون التقليد حراماً أو مكروهاً أو خلاف الأولى، ومن علامات الساعة المعروفة عموم الفوضى بين العباد على الأرض، واللامبالاة بالدين، إذ يتلاشى العباد نتيجة زيغ القلوب والأبصار، وهنا يقول الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام: " لا تقوم الساعة على أحد يقول الله "

إذا تفتشى مرض الاضمحلال والذوبان، وصارت الأمة المسلمة نسخة كربونية من أمم أخرى وهي في أوطانها، فإن هذا نذير بالانسلاخ من الإسلام وهم يدعون إليه، وحينئذ فمن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، وهنا يحذر ناصحو الأمة من حياة الزيغ واللامبالاة التي تغشى المتيمين بالتقليد والذين يعبون من الغرب أكثر مما يعاون بدينهم ونعوذ بالله أن يكون هذا نذير من النذر الأولى . إن ساداتنا وكبرائنا وكل المتيمين بالتقليد لو علموا منذ نعومة أظفارهم ما في أعرافنا من محاسن، سيما إذا علموا أن تلك المحاسن رسمت لنا نصف خريطة العالم الإسلامي وجذبت أقواماً ودولاً أقبلوا عليها يزفون، وحينئذ لأضحوا بمفازة من جرثومة التقليد التي تشوه واقع الإسلام في الريف والحضر والعواصم والنجوع، واستوى في ذلك المنقف والامى، والطالب والأستاذ.

ولكن لكل داء دواء يستطب به، وهذا هو ما نعكف عليه فى

الفصل الأخير فإليه نصير .